الجمهوريـــة الجزائريـــة الديمقراطيـــة الشعبيـــة

وزارة التعليـــم العالي والبحث العلمي

جامعة سعيدة. الدكتور. مولاي الطاهر.

كليـــة الآداب واللغـــات.

قسم اللغة العربية و آدابها.

تخصص:نقد عربي قديم.

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في اللغة العربية وآدبها.

والموسومة بـــــ:

تجليات البعد الديني في أدبيات الشاعر الإسلامي محمد مصطفى الغماري أنموذجا.

من إعداد الطالبة:

خلدوني فاطمة

بإشراف

د.عبيد نصر الدين.

اللجنة المناقشة:

الدكتور:عبو عبد القادر رئيسا.

الدكتور:عبيد نصر الدين مشرفا.

الدكتور:مرسلي عبد السلام ممتحنا.

1438-1439هـ/2017-2018م.

الإهـــــــــــداء:

إلى أبي ثم أبي إليك يا سندي ويا من أنار دربي بابتسامة وأمل،تحية لك عرفانا لما قدّمت وبذلت.

إلى أمي حبيبتي التي أخذت بيدي وقت الشدة كانت لي عونا في كل شيء وأنا أراقب في عينيها ذلك الخوف والقلق...رعاك الله وحفظك.

إلى حلمي الذي يكبر يوما بعد يوم وتحمل معي مشقة الغياب طول هذه السنوات لك هذا النجاح ومن أجلك ...طفلي قرة عيني"محمد مطيع".

إلى إخوتي الأعزاء منبع الحب والحنان عبد المؤمن،امحمد،عامر،خلف الله.

إلى أخواتي الغاليات.

زوبيدة،ميمونة،حياة.

إلى صديقات الدرب في السنوات الجامعية:مسعودة عثمان،بلفرح عائشة،دحماني فاطمة لكن أجمل التقدير والتحيات.

أهدي هذا العمل المتواضع إلى أهل الأدب والعلم والأخلاق الأخ الفاضل عبد الهادي بوراس.

إلى أولئك الأساتذة الكرام الذين كان لقاؤنا بهم حقيقة وأصبح حلما بعد اليوم.شديد التقدير لكم أيها السادة:د.بومدين جلالي،د.هاشمي الطاهر،عبيد نصر الدين،مرسلي عبد السلام،دايري مسكين.

مقدمة

يعد الأدب الإسلامي في عمومه رمزا لحضارة راقية تتصل بحياة الشعوب الإسلامية،انطلاقا من البعثة المحمدية فقد كان القرآن الكريم معين ومنهل يغرف منهما هذا العطاء الثقافي والحضاري الذي مسّ جميع مجالات الحياة التي أصبحت تستمد كل تصوراتها ومضامينها من وحيه وهديه ويعتبر القرآن الكريم فعلا نهضويا حداثيا ساهم في بلورة وتطوير جملة من العلوم مثل الفقه والتفسير والنحو والبلاغة والنقد وبهذا يمكن القول لحد بعيد أن الإسلام هو المصدر الأصيل للأدب الإسلامي الذي تجلى في كتابات كثيرة للأدباء في الشعر والنثر،وقد حظي بنماذج متألقة لا يمكن حصرها،لكن المتتبع لمسار الأدب العربي الإسلامي يجده دوما يوشك على السقوط في مزالق الضعف ويتغلب على تلك الموجة العاتية التي تحاول أن تقتلع جذوره وهذا ما لوحظ بشدة في العصر الحديث ونحن نشهد مرة أخرى محاولة إخراج الأدب العربي عن طبيعته وإجباره على الانصهار في الفكر الغربي الذي يتعارض مع أدبنا في المنهج والمضمون إذن فما هو الأدب الإسلامي وما هي مجالاته وما هي أشهر النماذج التي تجلت من خلالها مبادئ الإسلامية في الشعر قديما وحديثا؟وإلى أي مدى تمكن الأدب الإسلامي من مجاراة الحياة والتعبير عن قضاياها المختلفة؟

لقد كان الأدب الإسلامي يتسم بوظائف سامية تعبر عن رؤية الإنسان للكون وتساير كافة جوانب الحياة فقد كان حصنا يحمي الأمة الإسلامية ويتلاءم مع واقع المسلمين وعقيدتهم وأخلاقهم وأن التاريخ الإسلامي يزخر بمثل هذا الأدب وهذه الرؤية الجليلة هي التي دفعتني لاختيار هذا الموضوع الذي تباينت حوله الآراء وكثر من أجله الجدل وباتت تتجاذبه أطراف عديدة تشكك في وظائفه و أطروحاته الفكرية والأدبية وكل هذا كان بفضل تلك الرياح الغربية التي تعصف بكيانه بحجة التجديد والبعث والإحياء.

ولقد حاولت أن أوضح هذه المفاهيم من خلال اعتمادي على منهج تاريخي«لأن الأدب الإسلامي متجذر الجذور في تربة التاريخ،كان قد شهد بدايته الفعلية مع الدولة الإسلامية الراشدة والأدب الإسلامي لم يغب يوما عن حركة التاريخ فهو موجود بوجود الإسلام بكل مواصفاته الفكرية والفنية لأن المقصود به هو كل إنتاج فني ينطلق من المذهبية الإسلامية في رؤيتها للكون والحياة والإنسان»[1].

جدير بي أن أذكر كذلك أنني أدرجت المنهج الاحصائي كمنهج مساند فقط لإحصاء الألفاظ المتعلقة بمعجم الواقعية الإسلامية لجملة من الشعراء الإسلاميين وقد تم هذا وفق خطة مفصلة بدءً بعنوان هذه المذكرة"جماليات الشعر الإسلامي"التي آمل أن تكون موفقة مع عناوين فصولها للكشف عن فاعلية الأدب الإسلامي وتأسيس خطاباته من خلال عرض أهم النماذج.

خصصت مدخلا للحديث عن مدى تأثير الإسلام في الأدب واللغة خاصة مع القرآن الكريم الذي يعد النواة الأساسية للحضارة العربية الإسلامية هذا من جهة وعن الوظائف الجمالية والاجتماعية التي يقدمها الأدب بصفة عامة وقد أشرت في آخر صفحاته للأقلام الكثيرة التي كتبت عن الأدب الإسلامي.

أما الفصل الأول فعنوانه:الأدب العربي في ظل العصور الإسلامية أهم نماذجه وهو قراءة نظرية يتوضح من خلالها مفهوم الأدب الإسلامي ونشأته وخصائصه المغايرة لأدب ما قبل البعثة،حيث تم إثبات جملة من النماذج الراقية لزمرة من شعراء صدر الإسلام.

وفي الفصل الثاني الموسوم بـــ فلسفة الجمال عند العرب المسلمين وقد جاء ذلك في مبحثين الأول يتعلق بفلسفة الجمال عند الغرب وعرض لهذه الفلسفة كنظرية و تاريخ ثم انتقلت إلى المبحث الثاني للحديث عن

[1] د.لخضر لعرابي،الأدب الإسلامي ماهيته ومجالاته،دار الغرب للنشر والتوزيع،وهران،2003،ص28.

فلسفة الجمال عند العرب المسلمين التي لم تتبلور في نظرية قائمة بذاتها ولم تتخذ أبعادا حقيقية وقد ظل مفهومها بسيطا وكانت جهود بعض المسلمين تعتبر شروح وهوامش فقط.

وفي الفصل الثالث المعنون بـــ"الإسلامية في شعر مصطفى محمد الغماري"فقد تعمدت في بداية المبحث الأول الخوص في تجربة الشعر المعاصر في الجزائر وأبعادها الفكرية المختلفة،متمكنة بعد ذلك من الولوج في تجربة أخرى تتعلق بشاعر الإسلام"محمد مصطفى الغماري"وأدرجت جملة من الجزئيات المختارة من دواوينه المختلفة بغية تبيان الأثر الإسلامي في كتاباته ويعتبر هذا الأخير مبحثا تطبيقيا اعتمدت فيه على بعض المراجع القيمة لبعض الكتاب الجزائريين أمثال عبد الله الركيبي في كتابه:"الشعر الديني الجزائري الحديث"والدكتور أبو القاسم سعد الله في كتابه"تجارب في الرحلة والأدب"والدكتور الطاهر يحياوي"في كتابه "البعد الفكري والفني في شعر محمد مصطفى الغماري"وكتاب حسين فتح الله المعنون بـ شعر الشباب في الجزائر"-يوسف وغليس في كتابه في ظلال النصوص".

وعلى العموم إنني آمل أن أكون قد أضفت بهذا العمل المتواضع مرجعا قيما إلى الطلبة في المكتبة الجامعية وإذا لا قدر الله خالفني القصد فحسبي أنني اجتهدت بكل إخلاص ونزاهة ولم ألجأ إلى أي واسطة تتمثل في السرقة أو النقل.

تاريخ التحرير:06 رمضان 1439هـ/الموافق لــ:2018/05/22م.

الطالبة:خلدوني فاطمة.

مدخل

يعدّ عصر صدر الإسلام بداية لتفتح حضارة راقية ستعيشها الأمة العربية على مدى تاريخها الطويل،هذه الأمة التي كرمها الله سبحانه وتعالى بأن نزل القرآن الكريم على النبي العربي (محمد صلى الله عليه وسلم)،فبزغ فجر الإسلام وظهرت الدعوة الإسلامية التي نقلت البشرية بعامة والعرب بخاصة من ظلمات الجهل والظلال إلى نور الحق اليقين ومن العبودية والرق والطغيان إلى الحرية والأمن والمساواة،فقد كان للإسلام أثر في الحياة العقلية،فدعاهم إلى التأمل في ملكوت السموات والأرض،يقول جل ذكْرُهُ:﴿**إنّ في خلقِ السَّمَواتِ والأرْضِ واخْتِلَافِ اللّيلِ والنَّهارِ لآياتٍ لأولي الألبَابِ الذينَ يَذكُرونَ اللهَ قياماً وقعوداً وعَلَى جُنُوبِهم يَتَفكَّرون في خلقِ السَّمواتِ والأرضِ ربَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانكَ فَقِنَا عَذَابَ النّارِ**﴾**سورة آل عمران. الآية 191**.

حث الإسلام كذلك على المعرفة بما وهب الإنسان من فضيلة العقل ودعاه إلى البحث والتنقيب في هذا الكون،ليفيد عما هو فيه ويكتشفه لمنفعته.يقول جلّ شأنه:﴿**اللهُ الذي سخَّر لكُم البَحْرَ لِتَجْرِيَ الفُلْكَ فِيهِ بِأَمْرِه ولِتَبْتغُوا من فضْلِه ولَعَلّكُم تَشْكُرون سخَّر لَكُم مَا في السَّمواتِ والأرضِ جمِيعا منه إنّ في ذلك لآياتٍ لقومٍ يتفكرون**﴾[1].

هذا ما يمكن قوله عن تأثير الإسلام في الحياة العقلية وشتى المجالات الأخرى ناهيك عن الأثر الكبير الذي كان واضحا في اللغة والأدب«فقد أقام القرآن الكريم عمود الأدب،فاستمد الشعراء والخطباء والكتاب من أساليبه وطرائقه في التعبير ومناهجه في سوق الأدلة وصوغ الحجج واحتذوا حذوه في أعمالهم

[1] ينظر:سامي يوسف أبو زيد،الأدب الإسلامي والأموي،دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة،عمان،ط2012،01-1433هـ ص21.

الأدبية،واقتبسوا كثيرا من آياته المحكمات وأصبح معجمهم اللغوي والأدبي الذي يعودون إليه في مختلف العصور والبلدان»[1].

جدير بالقول أنّ الإسلام أثر في الحياة الأدبية للعرب واستطاع أن ينقل العرب من الأدب القديم إلى الأدب الجديد،حين تُليَ القرآن الكريم عليهم فتدبروا بلاغته واهتدوا ببيانه وأسلوبه ومعانيه وأصبح مصدرا للثقافة الدينية والعقلية والاجتماعية والأدبية وفي هذا الصدد يقول الدكتور صباح نوري المرزوك في كتابه الأدب الإسلامي«بزغ فجر الإسلام على العرب بالجزيرة بنور جديد تفتحت عليه عيونهم وقلوبهم وتقيضت له بصائرهم وعقولهم،ثم عكفوا عليه يدرسونَهُ ويتأملونه،وكان لهذا كله من الأثر في أدبهم والتوجيه لسلوكهم والتقويم لطبائعهم والتهذيب لأخلاقهم والاختيار لألفاظهم ما لا يدع مجالا للشك في أن البلاغة في التعبير والأناقة في التصوير والأدب في الحديث والذوق في الخطاب والسمو في الخيال والإيمان بالمثل العليا والغيرة على الحق»[2].

إنّ كلَّ تغيير حدث في الأدب إنما كان مصدره الأول القرآن الذي كان وحده منبعا لغزارة الطباع المهذبة التي تتميز بالدقة في التفكير والرقة والأسلوب لأنّ «الأدب المأثور عن عصر الإسلام،يمثل بوضوح روح الإسلام ومدى تأثر المسلمين بأدب القرآن الكريم وبلاغته،فكما أثر الإسلام والقرآن في حياة العرب الدينية والاجتماعية،أثر كذلك في حياتهم الأدبية وأصبح الأدب العربي بعد ظهور الإسلام يغاير قليلا أو كثيرا أدب الجاهليين يصور عقلا غير العقل الجاهلي وشعورا غير الشعور الجاهلي»[3].

[1] المرجع السابق،ص33.

[3] صباح نوري المرزوق،الأدب الإسلامي،الأدب الإسلامي،دار الصفاء للنشر والتوزيع،ط01، 2014م/1435هـ،ص112.

وفي خضم هذا العرض لا بد أن نشير بأن القرآن الكريم يعد النواة الأساسية والحقيقية للحضارة العربية الإسلامية التي وقفت شامخة بين مختلف الحضارات فالتأريخ للحداثة العربية لا بد أن يوثّق انطلاقا من الفترة التي لازمت الدعوة المحمدية«فالقرآن منهل الأدب الخالد ومصدر كل عطاء ثقافي وحضاري،من خلال آياته نشأت أمة الإسلام وتحددت معالم عقيدتها وعبادتها وأخلاقها وتصورها عن الحياة والأحياء ومنه تشكلت ثقافتها وبني ذوقها العام،فكان القرآن درع الأمة الإسلامية»[1].

استنادا لما ذكر سابقا يؤكد الدكتور نجيب الكيلاني«بأن التصوير البشري للحضارة يرتبط بعديد من العناصر التي لا بد من تآلفها لكي ينبثق عنها ذلك الشيء الروحي والمادي وأعني به الحضارة،ومن أهم عناصرها العقيدة والعلم والتشريع والسلوك الراقي والفنون والآداب وقيم الحق والجمال والخير والحرية ولقد سادت حضارات في التاريخ على اختلاف مراحله ثم بادت كان عطاؤها متفاوتا فالحضارة إذن في صميمها ترمز إلى القوة الفعالة في صنع التكامل البشري والرخاء والسعادة ونحن في واقع الأمر بالرغم من اندثار هذه الحضارات القديمة إلا أننا نجد لها صدى في الفكر المعاصر وفي أصول المدنية الحديثة،سواء خفّ هذا الصدى أو ارتفع تقف الحضارة الإسلامية فريدة في طابعها وتأثيرها ومنابعها ونحن لا نبالغ أو نلقي القول على عواهنه،إذ قررنا الحضارة الإسلامية لا تموت،لأن خلودها مرتبط بالروح التي تسري في أنسجتها وخلاياها وشرايينها ألا وهي روح القرآن كلمة الله الخالدة»[2].

مادامت الحضارة مرتبطة بالآداب والفنون والقيم«فلا يستطيع أحد أن ينكر أن الأدب كان عنصرا من عناصر هذه الحضارة الإسلامية المتوازنة الخالدة التي تمتد أسبابها إلى السماء،وفق تصورات واضحة

[1] المرجع السابق:ص22.

[2] نجيب الكيلاني،مدخل إلى الأدب الإسلامي:ص15.

صحيحة،ولم يكن من باب المصادفة أن يكون فقهاء الإسلام وفلاسفته وعلماؤه وقواده من أكثر الناس اهتماما وممارسة لفن الأدب شعرا ونثرا ونرى ذلك واضحا عند ابن سينا والشافعي وابن المقفع والجاحظ وغيرهم من أعلام الفكر المسلمين عربا وعجما قديما وحديثا»[1].

إن الحديث عن هؤلاء الأدباء يقودنا إلى مسائل مهمة وهي أنّ«المنهج الإسلامي لم يغب عن الأدب العربي في مختلف العصور،فإذا ما تفحصنا كتابات أديب رائد مجدد كالجاحظ.نلاحظ أنه يحدد أهم وظيفة للأدب وهي اصلاح العالم والمساهمة في تكوين الفرد تكوينا جديدا وهذا التصور في معناه العام لا يختلف عما قاله الروائي السينمائي المعاصر"أنجمار برجمان"مهمة الفن إعادة تشكيل الحياة»[2].

صحيح ما يزال دارسو الأدب مختلفين في تحديد وظيفة الأدب على مر العصور مستلهمين أراءهم من خلال طبيعة العصر وتنوع القضايا التي يطرحها وتشعب المشارب الثقافية والمعرفية التي ينهل منها الأديب.فلقد تعددت الوظائف واختلفت منها من يقول أنها جمالية ومنها من يرى بأنها نفعية وهناك رأي ثالث يزاوج بين هذا وذلك،على كل من يتأمل في القضايا النقدية الحديثة والمعاصرة يدرك جيدا أن هناك إشكالا قائما يفرض نفسه بجدة على حقيقة الأدب ووظيفته خاصة فيما يتعلق بمسألة التصنيف والتأريخ فهناك أراء قائلة:«بأن الأدب بقي في فترات طويلة من التاريخ في كثير من الأمم تحت رحمة الأدباء والكتاب والباحثين والمؤرخين الذين اعتادوا أن لا ينظروا إليه من زاوية الصناعة والفن ولا يعتبروه في غالب الأحوال إلا

[1] المرجع السابق:17

[2] المرجع نفسه:ص47.

أداة للتسلية،أو آلة طرب أو طريقة إظهار براعة أو وسيلة تحقيق مآرب،أشبه بشيء بفن من الفنون الوشي والتطريز أو التحلية والنظرية أو من مظاهر"الفروسية"بأوسع معانيها الكلامية أو السياسية البلاغية»[1].

يؤكد الكاتب أبو الحسن الندوي أن الأدب لا بد أن يتخلص من التصور القاصر وعليه أن يتسع باتساع الحياة ومناحيها المختلفة،أضف إلى ذلك أن الأدب العربي بخاصة لا يجب أن ينحصر في ما جمع في كل الكتب لأن أدب الكتاب لا يعبر عن الوظيفة الحقة.«فمن المؤسف جدا أن نلحظ أن أدب الحمر والجنس والغناء واللهو بعامة مضافا إلى الأدب الزائف مثل مدح الملوك والوزراء،والأدب العدواني كالهجاء الذاتي وليس الموضوعي والأدب الذاتي والفخر،هذه الأنماط من الآداب السلبي تغطي خارطة النتاج المكتوب باللغة العربية وغالبية الآداب الأجنبية أيضا في مطلق العصور،فأمثلة هذا الأدب هي جزء من الانحراف الاجتماعي الذي لا يزال علماء الاجتماع والنفس والتربية يجتهدون في تشخيصه وعلاجه لتحقيق التوازن الفردي والاجتماعي ومع ذلك نجد أن المعنيين بشؤون الأدب يؤرخون لأمثلة هذا النتاج المنحرف بحجة "الموضوعية في البحث"وأنه فن يحقق الإشباع للحاجات الجمالية لدى البشر علما بأن أبسط مبادئ المعرفة تقرر بأن الحاجات البشرية ينبغي أن تحقق من خلال الطرائق السوية للإشباع وليس من خلال الإشباع المنحرف»[2].

إذن لا بد أن نشير أن التأريخ من التراث لا بد أن يستفاد منه في الحاضر«لأن الكاتب أو المؤرخ عندما يؤلف كتابا في وصف الأدب والأديب ويعرض أمثلة ونماذج من الأدب المنثور والكتابة البليغة فيختار أكثرها تنميقا وأغناها زخرفة لفظية وبلاغة صناعية ويأتي الأخرون فيرتسمون خطاه ولا يتعبون أنفسهم في

[1] أبو الحسن علي الندوي،الأدب الإسلامي وصلته بالحياة،مؤسسة الرسالة،1415هـ/1985م،ص05.

[2] محمود البستاني،مختصر تاريخ العرب في ضوء المنهج الإسلامي،طهران،1981م،ص11.

استعراض ذخائر الأدب استعراضا جديدا واستخراج نفائس من الثروة الأدبية المطمورة فيتصور كثير من دارسي الأدب حتى أهل الاختصاص والبحوث أن أدب هذه الأمة قد استنفذت قوته وأثيرت دفائنه وأصبح من قبيل إضاعة الوقت لمن يعود إليه مرة أخرى فما استخرج منه وعرض في مجاميعه الأدبية إنما هو غرف من بحر وأن المكتبة الأدبية،تكاد تكون ركازا أدبيا تنتظر همما عالية وأيادي آمنة قوية وتصويرا للأدب الصحيح الذي يتميز بالجمال والقوة والحياة وبلاغة التعبير ودقة التصوير وإثارة في النفوس والقدرة على تحريك العاطفة»[1].

من خلال هذا التصور السابق يتبادر إلى الأذهان جميعا.أن الأدب يجب أن يكون أدب حياة كما يقول توفيق الحكيم:«إنَّ الاتجاه الغالب المميز للأدب الجديد هو ولا شك أدب الحياة وأود قبل كل شيء أن أُسَمِيَهُ أدب الحياة لأن "عبارة الأدب في سبيل الحياة قد أثارت لُبسا وغموضا في الأذهان وجعلت الكثير يقولون إنّ كل أدب حتى المأخوذ من بطون الكتب القديمة في السير والحكم والبلاغة وإنما هو سبيل الحياة وتجميعها وتهذيبها ولكن ليس هذا ما يقصده الجديد،فشباب الأدب الجديد يريدون من أدب الحياة أن يكون شيئا غير أدب الكتب فهم يريدون أن يقوم الأدب على التجربة الحية للإنسان أو عصر أو شعب وأن تكون هذه التجربة صادقة...وبذلك يخرج الأدب من وظيفة الحلية البديعة الساكنة فوق الصدور إلى وظيفة النور البراق الذي يفتح الأبصار ويثير ما في داخل النفس البشرية ويبرز ما في الأذهان من أفكار معاصرة،فعصر أدب الكاتب طغى طغيانا جارفا على أدبنا العربي طوال سنوات عديدة خلت،بل طوال قرون فكان مجرى حياة الأديب يتبع من تلك العصور»[2].

[1] أبو الحسن علي الندوي،الأدب الإسلامي وصلته بالحياة،ص09.

[2] توفيق الحكيم أدب الحياة-مقالات،دار القصبة للنشر والتوزيع،2012،دار الشروق-مدينة مصر-القاهرة،ص06.

إنّ الباحث الجاد يستطيع أن يجد نماذج حقيقية لأدب الحياة في بعض إنتاج الأجيال السابقة،فيدرك أن أدب الحياة.بهذا المفهوم يفتح أبوابا واسعة للاجتهاد،فهذا الأخير هو أدب عمق واتساع وفكر وشمول للفكر والمعرفة والتجربة،لأنّ الحياة في الأخير فكر ومعرفة وتجربة،فالأدب الإسلامي هو الذي يستحق بجدارة أن يوصف بأدب الحياة«لأنه عنصر من عناصر الحضارة الإسلامية،لا شك فيه ولسان من ألسنة الدعوة الإسلامية التي تحرص أول ما تحرص على القدوة والمثل وتهتم بالفعل دون أن تهدر قيمة القول وقد يختلف بعضهم وهم قلة معنا في هذا التصور وردنا على ذلك بسيط غاية البساطة ألا وهو أنّ المعجزة الكبرى في الإسلام هي القرآن الكلمة المنزلة من عند الله في إطار الصدق والجمال والإعجاز كما أن الدعوة إلى الله بنص القرآن الكريم بالحكمة والموعظة الحسنة»[1].

قال تعالى:﴿**أدعُ إلى سبيلِ ربّك بالحكمةِ والموعظةِ الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن**﴾ **سورة النحل الآية:125**.

يمكن القول إلى حد بعيد أنّ الأدب العربي لم يجد صعوبة في منادمة الإسلام ومسايرته ولم يكن له عائق على أن يجد تحقيقا لأهدافه في تصوير جوانب الحياة المتلائمة مع الإسلام«ثم إنّ الدين الإسلامي لم يكن دينا قاصرا محددا في العبادات وحدها حتى يقال عنه أنه سايره أدب كان أدبا منحصرا في العبادات وحدها بل إنما الإسلام هو الدين الفريد الذي اتسع كاتساع الإنسان وامتد كامتداد حياته ولم يتعارض إلا مع ما يتعارض مع مصلحة الحياة الإنسانية ذاتها ومع ذوقها الجميل،وأنه إذا تعارض فيتعارض مع عمليات الهدم والانحلال بصالح الإنسان والإنسانية[2].

[1] نجيب الكيلاني،مدخل إلى الأدب الإسلامي،ص15.
[2] المرجع نفسه،ص19.

لقد غرّدت الكثير من بلابل الأقلام في فضاء الأدب الإسلامي نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر مصطفى صادق الرافعي رحمه الله–طه حسين.وسلامة موسى والعقاد والسيد قطب ومحمد قطب حسن البنا وغيرهم كثير مثل الدكتور نجيب الكيلاني في "الإسلامية والمذاهب الأدبية"وجاءت بعد ذلك خطوة الدكتور عماد الدين خليل الرائدة في هذا الطريق في كتابه"النقد الإسلامي المعاصر"والحديث لا ينقطع عن أصول وطريقة الكتابة الفنية الإسلامية وهي لا تزال أطروحات عامة إلى حد بعيد، لم تنعكس بالقدر المطلوب في صورة نماذج مكتوبة،بأقلام إسلامية واعية وعارفة بأصول الصنعة الفنية التي تمثلت في مؤلفات عن "المسرح الإسلامي"وأدب الأطفال في ضوء الإسلام[1].

لقد صدرت سلسلة معتبرة من الكتب في هذا الميدان كما أشرت سابقا مساهمة منها في تحقيق الوعي الحضاري والتحصين الثقافي حتى يسترد المسلم اليوم موقعه من هذا الوضع الراهن ويستأنف دوره الذي أمره الله به من خلال استثمار الامكانات الروحية والذهنية والمادية كلها مبدعا أساليب في الدعوة إلى الله والعمل الإسلامي الجاد إلى جانب الفهم والإدراك لمتغيرات العصر من حوله متقدما إلى الإنسانية بأنموذج المسلم الجديد،ولا شك أن وسائل الدعوة إلى الله وأساليبها وميادين العمل الإسلامي ومواقعه المؤثرة والفاعلة،أوسع من أن تحصر بعصر أو تجمد على شكل،أو تحاصر من قبل طاغية أو عدو أو كافر إذا استشعر المسلم مسؤوليته واستعاد فاعليته،وأخلص النية وتلمس الصواب والتزم الحكمة والبصيرة التي أمره الله بها في البلاغ المبين وإنما تجيء محاصرتها من المسلمين أنفسهم[2].

[1] ينظر:المرجع السابق،ص23.

[2] ينظر:المرجع نفسه،ص08.

ما أشار إليه الدكتور"نجيب الكيلاني يثير الاستياء كثيرا لأن الله لا يغير بقوم حتى يغيّروا ما بأنفسهم وأن المسلمين اليوم هم من يشاركون في هذا الوضع المزري بسبب تخاذلهم وتقاعسهم،لأن المشكلة الحقيقية هي أننا لا نمتلك قوة الإرادة وبصيرة الاختيار فيما نأخذ وما ندع وليست لنا القدرة على تقديم البديل ونكون قادرين على إثبات وجودنا عالميا في ساحة الامتحان الحقيقي.لكن من خلال ما تقدم سابقا نحن لا نجزم جزما قاطعا أو نضمر شيئا من الجحود والكنود ببعض الأعمال القيمة والجليلة مثل البحوث التي قدمت في الندوة العالمية الأولى للأدب الإسلامي المنعقدة في دار العلوم وهي ندوة العلماء في عام 1401هـ من قبل سماحة الأستاذ الجليل"أبو الحسن علي الحسيني الندوي"الذي يقول في كتابه "الأدب الإسلامي وصلته بالحياة"«هذا بحث كنت أعددته مساهما في الندوة العالمية الأولى شرحت فيه صلة لإسلام بالأدب وصلة الأدب الإسلامي بالحياة،وهما جانبان من المعرفة يسترعيان من الانتباه»[1].

هذه المباحث التي تقدم بها الأستاذ أبو الحسن الندوي هي جديرة بالاستحقاق وأنها تمثل جزءُ كبيرا من التراث الذي يستفاد منه في الحاضر.فهو يقول في هذا الصدد:«ولا يشعر في الأدب الإسلامي بعجز أو قصور إلا الذين يتصورون في الإسلام نفسه العجز والقصور مع أنّ الإسلام منه براء،وخير مثل في ذلك حياة الرسول صلى الله عليه وسلم فقد كانت حياة إنسانية حافلة شاملة،وقد صورها لنا أدبه صلى الله عليه وسلم وأحسن تصويرها ولها نماذج متنوعة وكثيرة»[2].

إنّ المشكلة في رأينا لم تعد مشكلة حوار وجدل حول التنظير بالدرجة الأولى ولكنها في الحقيقة مشكلة ممارسة وإنتاج وإبداع وعبر التجارب يتبلور وجه الحق والصدق،فلا قيمة للجدل دون تقديم النماذج المعبرة

[1] أبو الحسن علي الندوي،الأدب الإسلامي وصلته بالحياة،ص05.
[2] المرجع نفسه،ص06.

عن نظرية الأدب الإسلامي،مدعومة بالنقد الذي يعرف كيف يرعى القابليات ويكشف العثرات ويمهد لأدب إسلامي حقيقي ذي صفات متميزة فهو أدب هدف ومسؤولية ووضوح.خاصة في ظل هذا العصر الحاضر"بعد أن سكت صوت الأسلحة بسبب من التوازن الدولي وأخذت ساحات المواجهة والصراع والحوار الحضاري والثقافي ألوانا جديدة إنها الحروب الحديثة حروب المعلومات والإعلام وصراع المبادئ والعقائد والمذاهب المعاصرة والدعايات السياسية والمذهبية التي تغرق العالم بسيلها الجارف،وتحاول إعادة تشكيل عقله،حتى أصبحت معظم الشعوب تعيش وكأنها في معسكرات الأسر والاعتقال الفكري،إنه عصر الجبر والتسير الإعلامي والتحكم الثقافي والسياسي.الذي أصبح يملكنا ويقتحم علينا بيوتنا ويطاردنا[1].

جميل جدا أن نظفر في يومنا هذا ببعض أبناء هذه الأمة من تنمو في داخلهم ثمرة الصحوة الإسلامية ويجدد عملية الانتماء إلى الإسلام وحفظ أمانة الكلمة وصوتها الذي هو أقوى من صوت السلاح وأكثر نفاذا«نحن المسلمين لسنا بحاجة إلى أدلة وشواهد على ذلك وقد ولدت أمتنا وحملت رسالتها إلى الإنسانية وابتدت الخطوة الإسلامية الأولى من غار حراء وسلاحها الأوحد إلى العالم "اقرأ باسم ربك الذي خلق"وتجاوزت مبادئ الإسلام البلاد المفتوحة،لتعم العالم بقوة نفاذها وحسن إبلاغها»[2].

لابد أن نشير في خضم هذه المناقشة أنّ هناك الكثير من المعوقات التي أثرت سلبا في مسيرة الإسلام والأدب الإسلامي بصفة خاصة وهي الجهود الفردية التي مهما بلغت ستبقى جهدا ضائعا محدود الأثر والرؤية الفردية مهما شملت هي رؤية حسيرة وقاصرة في الإحاطة بالقضايا والمشكلات كلها والقدرة على مواجهتها،ثم أن الكثير من القضايا الفكرية ومشكلاتنا الثقافية على الساحة الإسلامية ما تزال تحكمها روح

[1] ينظر:نجيب الكيلاني،مدخل إلى الأدب الإسلامي،ص8.

[2] المرجع السابق،ص08.

العفوية وتتحكم فيها الرؤى الفردية.فالمطلوب بإلحاح هو الانتقال إلى الرؤية الجماعية ووضع خطة ثقافية لتنمية روح فريق العمل الجماعي لكي تبرز رسالة الإسلام العالمية ووظيفة المسلم في البلاغ المبين[1].

قضية الأدب الإسلامي أكبر بكثير وأصبح من الضرورة بمكان الاهتمام بها أكثر من أي وقت مضى«فهي تتطلب وضع خطة واضحة ودقيقة من أجل مراعاة مبدأ تراكم المعرفة في الإنتاج الفكري والأدبي والإسلامي الجديد حفاظا على الطاقات ورعاية للقابليات ورغبة في الوصول إلى نتائج تخدم قضية "الأدب الإسلامي"كما لا بد أن تقوم دراسات ناقدة تجيب عن مجموعة الأسئلة وتحدد أهداف العمل وغاياته وتوفير الوسائل اللازمة لترشيده وتوجيهه الوجهة السليمة وتجلي السلبيات والإيجابيات،وتفك قيود التحكم الثقافي الذي يشمل ويعطل فاعلية المسلمين اليوم»[2].

[1] ينظر:المرجع السابق،ص09.

[2] المرجع السابق ،ص13.

الفصل الأول

المبحث الأول:الأدب الإسلامي النشأة والتطور.

مع ظهور الإسلام ونزول القرآن الكريم،حدث تغير جذري على العقلية العربية وعلى جميع مناحي الحياة المختلفة من سياسة واجتماع وأدب،لأن القرآن الكريم لم يرسم معالم العقيدة وفروضها العملية فحسب،بل رسم لهم أيضا طريق الفضيلة وما ينبغي أن يتحلوا به في سلوكهم وأخلاقهم فانعكس هذا على مستوى الحضارة والثقافة وقد عبر على هذا "الدكتور نجيب الكيلاني" في كتابه الأدب الإسلامي وصلته بالحياة قائلا:«إنّ العقيدة الإسلامية،وما يصاحبها من قيم وتشريعات وآداب وبمنهجها إلهي القويم قد استجابت للفطرة السليمة وأعطت تصوراً واضحاً للإنسان وما هيته وطبيعة تكوينه وسلوكه،ثم بينت مختلف نوازعه وأهوائه ورسمت الخطوط العامة لعلاقاته المتعددة الجوانب والنواحي فالحرية مكفولة تماماً لهذا الإنسان الذي كرمه الله، وبين له سبحانه وتعالى طريق الخير والشر.﴿**وهديناه النجدين**﴾البلد.10،وعلمه أنّ الحياة جهد دائب وصراع مع الشيطان وزوّده بالأسلحة التي يمكنه أن ينتصر بها في هذه المعركة الحاسمة وأكد لعبده أن النصر له ما استمسك بكتاب الله وسنة نبيه﴿**وكان حقا علينا نصر المؤمنين**﴾ الروم-47»[1].

إنّ العقيدة الإسلامية منذ بزوغ فجرها لم تأت من الفراغ أو فرضت نفسها بقوة وإنما صاحبتها جملة من الرؤى الفكرية والفنية التي تواءمت بطبيعة الحال مع الإنسان الذي يتميز بطبيعة خاصة وبسلوك معين.مستعملة في ذلك أدوات وقواعد معينة لتوضيح رسالتها.فجمال القرآن وبلاغته وفصاحته وطريقة الأمر والنهي وفيه لم تكن بمنأى عن الأساليب المهذبة والمحبذة إلى النفس وهذا ما كان يركن إليه الأدب في خطابه بل يجدر بنا القول في هذه الغضون أن القرآن الكريم هو الذي وطّد العلاقة بين الإسلام والأدب لما بينهما من وسائط تجعلهما يشتركان في نقاط فكرية تؤكد في مجملها دائماً عن الأداء الفني:«فإنّ بعض

[1] نجيب الكيلاني،الأدب الإسلامي وصلته بالحياة:ص19.

النقاد يحلوا لهم أن ينكروا أنّ للإسلام رؤية خاصة للفن والأدب،ويرون أنه عاجز عن تقديم البديل الفني لما يروج في عالم الأدب والفن من نظريات هي نتاج تطور الفكر الأوروبي الحديث منطلقا من الرؤى الفلسفية والفكرية والفنية والتصورات الدينية التي ترتكز على الفكر الوثني القديم،ومن الانفصامية بين الخالق والمخلوق حيث يستغني الإنسان عن خالقه في كل ما يصدر عنه في فكر وأدب»[1].

يشير الدكتور مصطفى الغماري إلى قضية بالغة الأهمية خاصة فيما يتعلق بالأدب والإسلام«لأن الفكر الأدبي في الإسلام يدين للخالق دينونة كبرى،فهو يعبر عن التعلق الشديد بحب الله في غير ما حلول ولا إلحاد ولا جدلية متوهمة،بل في معادل موضوعي يستقل فيه المخلوق عن الخالق في غير ما استغناء عنه،ولا تمرد عليه ولا فرار منه إلا إليه،وهذا ما درج عليه الملهمون من الشعراء والأدباء الإسلامين عبر العصور الإسلامية المتطاولة»[2].

يجدر بنا قبل الخوض في درس موضوعات الأدب الإسلامي والترحال عبر دروبه وسبله المختلفة أن نشير مبدئيا إلى المنابع الأساسية التي غرف منها هذا النتاج الأدبي وإلى الظروف المحيطة أنذاك.فقد ظهر الإسلام في جزيرة العرب،فشغل أهلها في أثناء حياة الرسول صلى الله عليه وسلم ومعظم الراشدين بالفتوح والجهاد والأسفار وجاء الإسلام بالقرآن والحديث،فأخذ بمجامع قلوبهم واستقر في المكان الأول من أذهانهم وغير من عاداتهم وأخلاقهم وسائر أحوالهم،فظهر أثر ذلك في علومهم وآدابهم الذين كانوا في الجاهلية يتفاضلون بالعصبية ويتفاخرون بالأنساب،فلما جاء الإسلام كان في جملة ما بذله من أحوالهم أنه جمع كلمتهم وصاروا

[1] مصطفى محمد الغماري،في النقد والتحقيق،دار مدني،2003،ص05.
[2] المرجع نفسه،ص05.

يداً واحدة على اختلاف أنسابهم ومواطنهم،فجمعهم تحت راية واحدة باسم واحد وهو الإسلام،فقال الرسول (صلى الله عليه وسلم)"المسلمون إخوة"وقد اقتدى بالرسول خلفاؤه الأولون[1].

لا يخفى عن الجميع أنّ الإسلام جاء يهذب الفطرة التي فطر عليها الإنسان وأن يغير كل مظاهر الحياة«فلما ظهر الإسلام اجتمعت كلمة العرب ونهضوا للفتح وأوغلوا في البلاد وفتحوا الأمصار ولم يستطع شيء أن يوقف تيارهم،فانساحوا في الأرض حتى نصبوا أعلامهم على ضفاف الكنج شرقا وشواطئ المحيط الأطلسي غربا وضفافا نهر لورا شمالا وأواسط إفريقيا جنوبا وملأوا الأرض فتحا ونصرا واحتلوا مدائن كسرى وقيصر،وأقاموا في المدن وركنوا إلى الحضارة وتعودوا الترف واختلطت أنسابهم بتوالي الأجيال التي قامت بنصرة الإسلام ونشرها في مختلف القبائل وأنصارها من العدنانية والقحطانية»[2].

ما يمكن قوله أنّ الإسلام أثر تأثيراً كبيراً في حياة العرب في الجزيرة العربية ووضع قيما أخلاقية وروحية في المجتمع و قد أبقى على بعض العادات الحسنة من عهد الجاهلية ولم يكن هذا التأثير بمنأى عن آداب اللغة وهذا ما يهمنا في هذا المقام«لأنّ الانقلاب الديني والسياسي والاجتماعي الذي أحدثه الإسلام لا بد له من تأثير في نفوس أصحابه وعقولهم فيحدث تغييراً في آدابهم وعلومهم فإن التغيير الذي حدث أبطل بعض تلك الآداب ونوّع البعض الأخر وأحدث أدابا جديدة لم تكن من قبل كالكهانة وفروعها،إذ جاء الحديث بتحريمها،والآداب التي أحدثها بعضها اقتضاه الإسلام كالعلوم الشرعية واللسانية وبعضها نقل عن الأمم كالفلسفة والطب ناهيك عن التأثيرات التي برزت في آداب الجاهلية التي زادها الإسلام رونقاً»[3].

[1] ينظر:جرجي زيدان،تاريخ آداب اللغة العربية،ج1-رقم موفم للنشر،الجزائر،2007،ص329.
[2] المرجع نفسه:ص331.
[3] نفسه،ص:337.

لا جدال في أنه قد وجد عدد كبير من الدارسين الذين يؤكدون بأن الإرهاصات الأولى أو النواة الأساسية للآداب الإسلامية بدأت تشق طريقها انطلاقا من تلك الفترة«وقد تجلى ذلك أكثر في شعر الشعراء الذين كان لهم دور مهم وإسهامهم في الصراع الذي امتدى بين المسلمين والمشركين من أهل مكة وغيرهم من العرب سواء من كان منهم في الجانب الإسلامي أو الجانب الآخر،فلقد تأثر الشعراء منذ سنوات الإسلام الأولى بالمعطيات الدينية التي أتت بها العقيدة الجديدة فضلا عن تأثير الأسلوب القرآني في المضمون الشعري للقصيدة»[1].

يذهب أحد الباحثين "الدكتور مصطفى بدر" في تدعيم هذه الحقائق المتعلقة بموضوعات الشعر التي تشربت كثيراً من منابع العقيدة الإسلامية واستلهمت الكثير من أدبيات القرآن حيث يرى بأنَّ«الشعر كان مبعثه المنازعة والمنافسة بين القبائل والإسلام فقد ألف بين قلوبهم وأصبحوا بنعمة الله إخوانا،فضعفت حاجتهم إليه ورغبت عنه نفوسهم غير أنَّ ذلك كله لم يكن لينزع ملكته من نفوسهم ويجتث محبته من قلوبهم فما زالوا يقولون الشعر الحكيم ويتمثلونه بما يطابق منه روح القرآن مما فيه حثٌ على الفضيلة أو تنفير رذيلة وما دعا منه إلى العمل الصالح والموعظة الحسنة وما فيه من مدح لرسول صلى الله عليه وسلم ممن ظلمه»[2].

لقد تجلت مظاهر الآداب الإسلامية انطلاقا من الموضوعات والأغراض التي جدت في فترة البعثة المحمدية«فالنوع الذي أحدثه الإسلام في آداب الجاهلية فأكثره في الشعر والخطابة وهما من الآداب الجاهلية التي زادها الإسلام رونقا،لكن الخطابة سبقت الشعر في الرقي لحاجة المسلمين إليها في الفتوح والغزوات

[1] أحمد محمد عوين،مداخل الأدب العربي،ط01،دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر،2014،ص84.

[2] مصطفى بدر زيد،المنتخب في تاريخ الأدب،دار المعارف للطباعة والنشر،تونس،1990،ص60-61.

والعرب لا يزالون على بداوتهم تتأثر نفوسهم من التصورات الشعرية سواء سكبت في قالب الخطابة أو الشعر والخطابة أقرب تناولا إذ لم يرد في القرآن ما ينفر الناس منها كما ورد في الشعر والشعراء...»[1].

كل هذه النصوص التي وردت سابقا تجعلنا ننطلق من قناعة مفادها أن الأدب الإسلامي من منظوره التاريخي،يوثق انطلاقا من عصر صدر الإسلام للأدب كما يقول "الدكتور مصطفى محمد الغماري" في كتابه"في النقد والتحقيق":تتعدد المفاهيم لمصطلح الأدب الإسلامي تبعا لاختلاف المدارس الأدبية أو لتباين اتجاهات النقاد فهو يعني عند مؤرخي الآداب أدبيات المسلمين من شعر ونثر فني وخطابة ورسائل محصورة في عصر صدر الإسلام أي منذ بناء الدولة الإسلامية بقيادة الرسول الأعظم في المدينة المنورة عقب الهجرة النبوية،حتى انتهاء عصر الخلافة الراشدة بنظرة لا تخلو من الاتساع»[2].

من خلال ما تقدم به الدكتور"مصطفى الغماري"يتأكد لنا مرة ثانية أنّ الفكر الإسلامي تجلى واضحا في فنون الشعر والخطابة،فقد كانت الظاهرة الإسلامية مجسدة من خلال«تقليد أسلوب القرآن الكريم واقتباس الآيات القرآنية وقد كان للقرآن نحو هذا الشعر أيضا،لكن الخطابة كانت أوسع مجالا للاقتباس فأخذ الخطباء يرصعون خطبهم بالآيات القرآنية تمثلا وإشارة حتى يجعلون الخطبة برمتها مجموع آيات كما فعل مصعب بن الزبير...وزدادت الخطابة بعد الإسلام قوة ووقعا في النفوس بنهضة العرب للحرب وانتصارهم في أكثر مواقعها فازدادوا أنفة وسمت نفوسهم،فسما بها ذوقهم في البلاغة وشحدت قرائحهم بما شاهدوه في البلاد الجديدة،فبلغت الخطابة عندهم مبلغا قلما سبقهم فيه أحد من الأمم التي تقدمتهم،بلاغة وإيقاعا وتأثيرا وربما كان الخطباء في الإسلام أكثر عدد وخطبهم أو فر وأبلغ»[3].

[1] جرجي زيدان،تاريخ آداب اللغة العربية،ص333.

[2] مصطفى محمد الغماري،في النقد والتحقيق:ص57.

[3] جرجي زيدان،تاريخ آداب اللغة العربية:ص334.

استنادا لما ذكر سابقا عن الخطابة باعتبارها مثلت نوعا بارزا من أنواع الآداب«فقد كان ظهور الإسلام إيذانا بتطور واسع في الخطابة إذ اتخذها الرسول صلى الله عليه وسلم أداة للدعوة إلى الدين الحنيف طوال مقامه بمكة قبل الهجرة حيث ظلّ ثلاثة عشر عاما يعرض على قومه من قريش وكل من يلقاه في الأسواق آيات القرآن الكريم وهو في أثناء ذلك يخطب في الناس داعيا إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة محاولا بكل طاقته أن يوقظ ضميرهم بما يصور لهم من قوة الكائن الأعلى مدبر الكون منظمه الذي لم يخلقهم عبثا وإنما خلقهم ليعبدوه حق عبادته...»[1].

لم تقف الخطابة الدينية في عصر صدر الإسلام الأول بل أخذت تزداد تطورا وتحل مع المسلمين في تلك العصور المتتابعة«ولعل عصرا عربيا لم تزدهر فيه الخطابة كما ازدهرت في عصر بني أمية بأنواعها السياسية والحلفية الدينية،فقد اشتدت الخصومات بين الفرق السياسية وانبرى خطباؤها يذودون عن نظرياتهم مؤلبين الناس عن خصومهم ونشطت نشاطا عظيما خطابة المحافل بين أي الخلفاء والولاة أما الخطابة الدينية فاحتذمت على لسان الوعاظ والقصاص احتذاما،استطاعوا في أثنائه أن يتخذوا لأنفسهم أسلوبا جديدا ويرتفعون عن ألفاظ العامة المبتذلة بأساليب يخاطبون بها جميع الطبقات في المراكز المتحضرة التي يختلط فيها العرب بالأعاجم»[2].

هكذا تبوأت الخطابة مكانا معتبرا عند المسلمين فقد عكست جانبا أدبيا مرموقا بفضل تأثير الإسلام على الأدب خاصة في القرآن الكريم الذي كان يمثل منهلا عظيما ومستفيضا لكل الأدباء والشعراء وقد

[1] شوقي ضيف،تاريخ الأدب العربي،العصر الإسلامي دار المعارف بمصر،ص109.
[2] المرجع نفسه،ص06.

مهد كذلك لعلوم جديدة مثل البلاغة والنحو لأنه أصبح محط دراسة وتأمل ينطلق من خلاله التأصيل النقدي لأصول معرفية وعلمية مختلفة لا يمكن حصرها.

ومن ثمة يمكن القول إلى حد بعيد أن دراسات القرآن الكريم كانت العامل الأكبر في تدوين اللغة وجمع الشعر ورواية الفصيح.

إنَّ الحديث عن مسألة ازدهار الخطابة في هذا العصر يجعلنا نتصادف مع إشكالية نقدية طفت فوق السطح تتمثل في التهمة التي ألصقت بالشعر الإسلامي أو بالأحرى ما يسمى بفتور حركة الشعر عند نزول القرآن الكريم،فقدت رددّت هذه القضية النقدية في مؤلفات أدبية ونقدية مختلفة،التي أكدت معظمها على «فتور قرائح العرب إثر ظهور الإسلام عن نظم الشعر،وانصرافهم عن التلهي به وكلت هممهم عن التنافس فيه،وشغل المشركون منهم بالذب عن حياضهم ومقاومة المسلمين أفكار المؤمنين عن أكثر فنونه التي نأت عن سنن الهداية لأسباب تالية نذكر منها ما شغلهم من أمر الوحي والسفر للجهاد وفتح البلاد،أضف إلى ذلك نشوتهم بأسلوب القرآن الذي تضاءل بجانب قدر الشعر وسقطت منزلتهم من نفوسهم لأنهم لم يجدوا فيه بعد القرآن سحر البيان الذي ثملو به وأنّ أغلب أغراض الشعر كانت مشوبة بالكذب والمغالاة لأن ولا يجيد الشعر إلا فارغ البال فلذا ترفعوا عن قرضه وانصرفوا إلى التفاني في حفظ القرآن ورواية الأحاديث»[1].

من الطبيعي جداً أن يحدث شيئا من هذا القبيل وأن يحاط القرآن الكريم بهالة قدسية لا تضاهى لأنه دستور حياة ومصدر أول للتشريع نزل معجزا للناس في كل الأزمان وعلى مختلف الأصعدة الإبداعية والتشريعية لأنه منزهاً عن كلام البشر و مباين كما علقّ عليه أبو بكر الباقلاني قائلا:«والذي أطلقه العلماء على هذه الجملة،ونحن نفصل ذلك بعض التفصيل ونكشف الجملة التي أطلقوها فالذي يشمل عليه بديع

[1] مصطفى بدر زيد،المنتخب في تاريخ الأدب:ص60.

نظمه المتضمن للإعجاز وجوها منها ما يرجع إلى الجملة وذلك أن نظم القرآن تصرف وجوهه وتباين مذاهبه خارج على المعهود من نظام جميع كلامهم و مباين للمألوف من ترتيب خطابهم وله أسلوب يختص به ويتميز به في تصرفه عن أساليب الكلام المعتاد...فالقرآن خارج هذه الوجوه و مباين لهذه الطرق فهذا إذا تأمله المتأمل تبين بخروجه عن أصناف كلامهم وأساليب خطابهم وأنه خرج عن العادة وأنه معجز وهذه خصوصية ترجع إلى جملة القرآن وتميز حاصل في جميعه»[1].

من المعروف تاريخيا أنّ العرب حين سمعوا القرآن تأثروا به تأثيراً شديداً ووقفوا أمام روعة نظمه وبديعه موقف الإعجاب والذهول.لكن هذا لا يعني البتة بأن للعرب المسلمين توقفوا عن قرض الشعر أنذاك

وهذا ما دفع "الدكتور شوقي ضيف" في مقدمة كتابه المتعلقة بتاريخ الأدب العربي–العصر الإسلامي–أن يعلن قائلا:«ودفعتني النصوص الكثيرة في عصر صدر الإسلام إلى نقض الفكرة التي شاعت في أوساط الباحثين من عرب ومستشرقين إذ ذهبوا يزعمون أنّ الإسلام انحسر عن أثر ضئيل نحيل في أشعار المخضرمين وهو زعم غير صائب بل هو زعم يسرف في تجاوز الحق فقد أتم الله على هؤلاء الشعراء نعمة الإسلام،وانتظم كثيرون منهم في صفوف المجاهدين في سبيل الله داخل الجزيرة العربية وفي الفتوح وهم في ذلك يستلهمون الإسلام ويعيشون له ويعيشون به،يريدون أن ينشر نوره في أطباق الأرض،وقد مضوا يصدرون عنه في أشعارهم صدور الشذى عن الأزهار الأرجة وبالمثل صدروا عنه في نثرهم فإذا هم يستحدثون فنونا من النثر ينشؤونها إنشاءً إن أنشأوا على هدى القرآن الكريم–آيات بديعة من المواعظ الدينية،كما أنشأوا ضروبا من المعاهدات والرسائل السياسية والتشريعية»[2].

[1] أبو بكر الباقلاني،إعجاز القرآن الكريم،دط،دت،ص35.

[2] شوقي ضيف،تاريخ الأدب العربي،العصر الإسلامي،ص05.

ما ذكر سابقا يشير بأنّ الشعر لم يغيب في هذه الفترة وسجل حضورا قويا وقد أخذ الشعراء يخضعون في كل مكان لمؤثرات مختلفة بيئية ودينية وحضارية وثقافية واقتصادية،والدليل على ذلك أن الرسول عليه الصلاة والسلام لم يقف موقف الإنكار للشعر«بل كان يصفه كلاما مؤلفا،مثله في ذلك كمثل أي كلام ينطق به الناس،فما وافق الحق منه فهو حق وما لم يوافقه فلا يعبأ به المسلمون والثابت أيضا أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يرفض الشعر على إطلاقه بل كان يدفع إلى قوله حيث كان ينصب لحسان منبراً في المسجد يلقي شعره من فوقه دفاعا عن الدعوة الإسلامية ورداً على شعراء الكفار والمشركين،فكان يدعو له ويحثه بإخباره أن روح القدس معه»[1].إنّ هذا لدلالة كافية على أنّ الإسلام لم يعرقل مسيرة الشعر وإنما هاجم الشعراء المشركين الذين كانوا يهجون الرسول صلى الله عليه وسلم«فالقرآن لم يهاجم الشعر من حيث هو شعر وإنما هاجم شعرا بعينه كان يؤذي الله ورسوله وهو نفسه الذي قال فيه الرسول صلى الله عليه وسلم:" إنّ من البيان لسحر ومن الشعر لحكمة"»[2].

نستطيع الآن أن نقرر من خلال هذه المسوغات التي قدّمت سابقا أنّ القرآن لم يقف موقف العداء بالنسبة لفن الشعر «وظلت كتب التاريخ والأدب تزخر بما نظم من أشعار في صدر الإسلام وهي أشعار كثيرة نلقاها في كل ما يصادفنا من أحداث العصر،فليس هناك حدث كبير إلا ويواكبه الشعر ويرافقه،وكان أكبر الأحداث دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام،وهي دعوة اضطرته إلى حمل السيف،وانقسم العرب بإزائها مؤمنين ومشركين فكان هناك من آمنوا وحسن إيمانهم ومن وقفوا يدافعون عن الدين القديم ويصدون عن سبيل الله وكل ذلك نجده ما ثلا على ألسنة الشعراء فالشعر لم يتوقف ولم يتخلف في هذا

[1] أحمد محمد عوين،مداخل الأدب العربي،ص92.

[2] شوقي ضيف،تاريخ الأدب العربي،العصر الإسلامي،ص44.

العصر،وهذا طبيعي لأنّ من عاشوا فيه كانوا يعيشون من قبله في الجاهلية وكانوا قد انحلت عقدة لسانهم وعبّروا بالشعر عن عواطفهم ومشاعرهم،فلما أتمّ الله عليهم نعمة الإسلام ظلوا يصطنعونه وينظمونه»[1].

في غمرة هذه الأحداث لا بد أن نشير بأن الشعر في هذه الفترة«استمد الكثير من تعاليم الدعوة المحمدية وألفاظ القرآن الكريم وعباراته وقيمه وأحكامه وسار الشعر أهم فنون الأدب آنذاك-في ركاب الزحف الإسلامي (المقدس موشحاً بالقيم الفكرية والفنية والجمالية،منطلقا إلى غايات أسمى وأعمق من غايات الشعر الجاهلي الذي ظل أسير العصبيات والقبليات والفخر والهجاء والمديح»[2].

من الثابت والمؤكد أن فن الشعر يعد رافدا عظيما من روافد الأدب الإسلامي النابع من معين القرآن الكريم كما يقول "الدكتور نجيب الكيلاني":«ومن الطبيعي والمنطقي أنّ الأدب الإسلامي،ينمو ويترعرع في ظل القرآن الكريم ورحابه وينهل من فيضه،ويغتني بمنهجه وأسلوبه ونماذجه ويستمد من عناصره الصدق والطهارة والقوة والدقة والأمانة ويستشرف من الغاية ويغتنم الوسيلة،وهو يحرص أشد الحرص على مضمونه الفكري النابع من قيم الإسلام العريقة ويجعل من ذلك المضمون ومن الشكل الفني نسيجا واحدا معبراً أصدق تعبير ويعول كثيراً على الأثر أو الانطباع الذي يترسب لدى المتلقي،ويتفاعل معه،ويساهم في تشكيل أهوائه ومواقفه وحركته الصاعدة أو المتدفقة إلى الأمام»[3].

ما دمنا بصدد الحديث عن المتلقي فهذا الأخير هو المحور الأساسي الذي ينطلق منه ولأجله الأدب الإسلامي«الذي يستوعب الحياة بكل ما فيها ويتناول شتى قضاياها ومظاهرها ومشاكلها،وفق التصور

[1] المرجع السابق،ص42.
[2] نجيب الكيلاني،مدخل إلى الأدب الإسلامي،ص41.
[3] المرجع نفسه،ص33.

الإسلامي الصحيح لهذه الحياة ولا يزيف حقيقة أو يخلق وهما فاسدا أو يزين نفاقا ومن ثم ينهض بعزائم المستضعفين وينصر قضايا المظلومين ويخفف من بلايا وأحزان المعذبين،ويبشر بالخير والحق والجمال»[1].

إنّ الحديث عن الأدب الإسلامي هو حديث يستدعي الكثير من التفضيل والشرح الذي لا يسعنا في هذا المقام،فقط لا بد أن نشير ونقتصر على جملة الخصائص التي يتميز بها بصفة عامة«فالأدب الإسلامي أدب وضوح وأدب ضمير حي ووجدان سليم وتصورٍ صحيح وخيال بناء وعواطف مستقيمة لا ينجرف إلى انحراف نفسي أو اعتلال شعوري،أو مرض فلسفي،فهو أدب وضوح لا يجنح إلى إبهام مضلل أو سوداوية محيرة قاتلة أو يأس مدمر،فالوضوح هو شاطئ الأمان والأدب الإسلامي لا بد أن يصدر إلا عن ذات نعمت باليقين وسعدت بالاقتناع،وتشبعت بمنهج الله ونهلت من ينابيع العقيدة الصافية ومن ثم أفرزت أدبا صادقا وعبرت عن التزامها الذاتي الداخلي دونما قهر أو إرغام ذلك هو مفهومها الشامل للأدب الإسلامي بتعبيره الفني والجميل،النابع من ذات مؤمنة،المترجم عن حياة الإنسان والكون وفق الأسس العقائدية للمسلم،الباعث للمتعة والمنفعة معا المحرك للوجدان والفكر والمحفز لاتخاذ المواقف والقيام بالنشاطات»[2].

انطلاقا من هذا التصور السابق يجب أن ندرك جيدا أن الأدب الإسلامي في عمومه هو أدب رسالة ومضمون«وما أقدر الإسلام في سموه وجلاله في عظمته وجماله على أن يهب المؤمنين به قبس الروح وصفاء الوجدان،وعمق الفكرة ووضاءة البيان فإن المضامين الإسلامية التي تنظم الكون كله من خلال دينونته للخالق الذي يسبح له حفيف أجنحة الطير،و وجيف أجنحة الملك وخفقان قلب المؤمن في سبحاته

[1] المرجع السابق،ص34

[2] المرجع نفسه،ص36.

وحبات عرق الكادح في معاناته،فهي أقدر المضامين على صياغة أدب يتآلف فيه جلال الموضوع بجمال الأداة»[1].

في ضوء هذه الحقائق التي تحمل راية واحدة وتؤكد على ثنائية الأداة والمضمون للأدب الإسلامي الذي يعد أدبا حداثيا لا تضمحل أبدا هالته القدسية ولا تشوبه شائبة عبر جميع الأزمنة والأمكنة،يظل الجميع يتفيؤ تحت ظلاله وينعم بثمراته فقد بات وأصبح قناعة يتشربها كل إنسان مؤمن فهو رعاية لمصلحة الحياة الإنسانية وأدب ملتزم بالمفيد الصالح لا أدب لجمود والتقليد،فقد اشتمل على الشعور بالألم والسرور على السخط والرضا وعلى الغضب واللطف وعلى البكاء والضحك والكراهية والحب وعلى الشقاء واللذة وعلى العقل والوجدان وعلى الحكمة واللعب وهو يصور سلوك الصديق مع الصديق وسلوك الرجل مع المرأة وهو يشتمل على التاريخ والسيرة والخطبة والحوار والوصف وعلى التعبير المؤثر الجميل وهو نثر سلس وشعر رائع وصور زاهية للأسلوب الأدبي وهو تقريع وعتاب وتطريب وامتاع وبيان وإفهام غير أنه يتجنب كل القذارة والفساد وذلك لأن الإسلام ليس دينا بالمعنى الذي راج وعمّ في الديانات الأخرى في العالم حيث لا يتسع الدين في نظرها اتساع الحياة[2].هذا إن دل على شيء إنما يدل على سعة الأدب الإسلامي وتنوع فنونه من شعر وخطابة ورسائل ووصايا فمن الصعب بمكان أن نحيط بكل هذه النماذج،لكن أود بقدر الإمكان أن أربط هذه المباحث بجماليات الشعر الإسلامي وموضوعاته وخصائصه التي برزت فيها معاني الإسلام بجلاء ووضوح،هذه الأخيرة التي غايرت الصورة الجاهلية وكان ذلك على مستوى اللغة والألفاظ والمعاني والفنون

[1] مصطفى الغماري،في النقد والتحقيق،ص56.

[2] ينظر:أبو الحسن الندوي،الأدب الإسلامي وصلته بالحياة،ص76.

الجديدة،هذا ما سنعرضه في المبحث الثاني مركزة في ذلك عن تأثير الدين الجديد على فنون القول عند العرب.

المبحث الثاني:الشعر الإسلامي خصائصه الفنية وأغراضه المتنوعة.

لقد حاولت في الصفحات السابقة أن أترصد جملة من القضايا التي تتعلق بالأدب الإسلامي وتأثير الدين الجديد على مختلف العلوم والفنون وقد اتبعت خطة تاريخية تنطلق من ظهور الإسلام«فلا شك أن ما جرى من أحداث جسام كان له ضجة واسعة في جسم الأمة العربية وكان له مفعولان رئيسيان.وعي جديد وانفتاح مديد أما الوعي فقد حصل في داخل الشخص العربي وقد دعته الهزة العنيفة إلى أن ينكفئ على ذاته ويتنبه للشخصية الكامنة في أعماق كيانه وللقوى والطاقات التي بإمكانه التسلح بها وأما الانفتاح فقد دعت الأحداث والفتوح الإنسان العربي إلى أن يندفع إلى الخارج ويخرج عن حيزه الضيق ويفتح عينيه على عالم الله الواسع،وعلى ثقافات الحضارات والأمم والشعوب ولا شك أن هذا كله أثر عميقا في اللغة والأدب والعلوم عند العرب»[1].

لقد آثرت الحوار والنقاش سابقا في مواضع كثيرة حول اللغة والأدب مركزة في ذلك عن قضية بالغة الأهمية تتعلق بفن الشعر الذي دارت حوله الكثير من الأراء ووجهات النظر المختلفة إبان تلك الفترة،لكن عموما لا بأس أن نذكر مرة ثانية أن الشعر الإسلامي كان أداة طيعة تستجيب لكل المؤثرات والأحداث التاريخية الكبرى«التي تحدث في الأدب فتخرجه من وضع إلى وضع،وعلى التيارات التي تداخله فتحرره من بعض الصفات وتلحق ببعض الصفات الأخرى»[2].

هناك أسباب كثيرة تجعل الشعر دائما في صدارة الفنون العربية فقد كان منذ العصور الأولى ديوانا العرب تسجل فيه كل الأحداث والمآثر والأخبار والأنساب ولا زال إلى حد الآن حارسا أمينا لأدبيات الإنسان

[1] حنا الفاخوري،الجامع في تاريخ الأدب العربي (الأدب القديم)دار الجيل،بيروت لبنان،دط،دت،ص305.

[2] طه حسين،من تاريخ الأدب العربي،المجلد 01،العصر الجاهلي والإسلامي،دار العلم للملايين بيروت،ط04، 1981،ص464.

التي تصدر من وجدانه فهو يصور كل الأحوال من هدوء واضطراب وحزن وفرح وأمل وألم«فالشعر لغة الوجدان،والوجدان صميم الإنسان،منذ أن خفق قلب آدم عند رؤيته حواء،فآنس الدفء بقربها،وانطوت أضلاعه على حبها،فعبر لسان المقال عن الحال فكان الشعر خفقة الإنسان الأول،الذي يحمل وجدان الشاعر الأول في كل أحواله ومقاماته،فكانت حياته في العالم الأدنى الذي قدر للإنسان أن يكون لها مستقرا إلى أجل مسمى وقود معاناة عميقة في اكتشاف النفس والبحث عن الذات،وفي محاولة الانعتاق من التيه والركام والسير إلى المطلق وكان "التشاد"عنيفا بين السمو إلى أفق الإيمان الرحب الإله المطلق وبين الارتكاس في حضيض النفس التي تستبد بها الغريزة وتتلاعب بها الأهواء،فتعيش في مستنقع المادية الراكدة،الذي تتقطع فيه الأنفاس ويرتبك الاحساس»[1].

ما تقدم به "الدكتور مصطفى الغماري" يؤكد لنا حقيقة بالغة الأهمية في حياة الإنسان هذه الحياة التي تعتبر بحد ذاتها رسالة مضمونية تتمخض من نور عقيدة سماوية حملت الحدث الإسلامي بكل ما مر به من أحداث وقصص وأخبار ومعاناة«ولأن الشعر من دون معاناة نظم زائف وصناعة لفظية مبهرجة،قد تروعك بأصدائها وقد تملأ بعض حواسك ببريق أصباغها لكنها لا تتغلغل في ذاتك فتجعلك تردد أنفاس المبدعين وتحيا حياتهم الفياضة ويتجلى فيك نبض عواطفهم الجياشة ...ومن هنا فما أكثر ما سودت به الصحف والأوراق مما يسمى شعراً وليس فيه من الشعر إلا قوالب الصناعة الشكلية أوزانا أو تفاعيل،أو فيما وراء ذلك من أنماط وأخلاط،إن الشعر من دون معاناة كحجج الجاهلية مكاء و تصدية»[2].

[1] مصطفى الغماري،في النقد والتحقيق،ص07

[2] المرجع نفسه،ص08

لم يكن الشعر الإسلامي بمنأى عن ما ذكر سابقا خاصة فيما يتعلق بالوظيفة السامية التي يحملها في طياته فالشاعر الإسلامي«فضلا عن معاناته الصادقة كان يستلهم أفكاره من برهان ربه لذي يتمثل في القرآن وهديا من نبيه"السنة المطهرة"،فيغرف من خلالهما إبداعه،ويأخذ منها زاده في المعاناة المستمرة التي لا تعرف الجمود ولا الخمول لأنها تسعى وراء المطلق وتحلق في آفاق الكلام،حتى تلقى الله وهي ترجو رحمته وترقب رضاه،هؤلاء الشعراء هم الذين أخلصوا لفنهم وأبو إلا ليجعلوا منه مستودعا للمضامين الرسالية التي هي لب بيان المضامين الإنسانية الخالدة وأن يجعلوا منه مجتلى للقضايا الكبرى التي من أجلها يحيون وعلى هديها ينشدون لقاء المطلق حيث تتحطم القيود وتنحصر الحدود وتنكشف الغشاوة عن البصيرة والغطاء عن البصر فلا يرى إلا الخير ولا يتلذذ إلا بالجمال»[1].

هذا ما كان يركن إليه الشاعر الإسلامي الأول الذي نشأ متأثراً بالإسلام في حياته التي كانت حياة إسلامية،وفي تربيته التي كانت تربية إسلامية.فهو واحد من هؤلاء الذين أثّر فيهم الإسلام وفي سلوكهم وأنماط تفكيرهم وليس هذا هو الذي يهمنا بل ما نسعى إليه ونحاول أن نحدده يتجلى في الحياة الأدبية وخصوصا في ميدان الشعر،فما هي درجة التأثير التي نالها الشعر؟وما هي الخصائص التي تميز بها مقارنة بالحياة الجاهلية السالفة؟

أول تأثير سنصادفه أثناء قراءتنا لهذه القصائد سيكون من جهة التطور اللغوي«فإن الجزالة البدوية القديمة التي كانت صفة غالبة على الشعر الجاهلي كادت تختفي تماما لتحل محلها بساطة في الأسلوب،وألفاظ سهلة رقيقة حضرية،لأن الشعر انتقل من البادية إلى المدينة وأصبح حملة لوائه من القريشين

[1] ينظر:المرجع نفسه،ص ص10-11.

أو غيرهم من شعراء الحضر خصوصا مكة المكرمة من قبيل شعراء المهاجرين،والمدينة المنورة من قبل شعراء الأنصار»[1].

يذهب جرجي زيدان في حديثه عن اللغة والإنشاء في عصر صدر الإسلام قائلا بأن:«ظهور الإسلام أثر كثيراً في اللغة العربية وأساليبها وألفاظها لتتشرب قرائح المسلمين روح القرآن وحفظهم كلامه وإعجابهم به ومن الطبيعي أنّ الشاعر تتكيف ملكة اللغة فيه على مقتضى محفوظه من أشعار وأمثال وأساليب فلا غرو إن ظهرت أساليب القرآن وألفاظه في لغة الشعراء وقد توضح هذا التغيير في قسمين نذكر منهما الأسلوب والألفاظ فلا يمكننا أن ندرك هذا إلا بالرجوع إلى ما وصلنا من إنشاء الجاهليين فالفرق بينه وبين أسلوب القرآن كالفرق بين الثرى والثريا»[2].

لقد كانت هناك فروقا شاسعة بين الأشعار الجاهلية والإسلامية في اللغة والمضمون على حد السواء وكان للغة فضل كبير في ذلك لأنها كانت جنبا إلى جنب مع مضمون«لأنّ الأصل في الأدب ومنه الشعر أن يكون منسوبا إلى لغته فهو ابن اللغة التي من ألفاظها ومجازاتها وأصواتها تفجر كوامن الإبداع ويأتي برائعات الصور والمعاني الشعرية ومن أجل ذلك كان اختلاف الخصائص الفنية حقيقة ومجاز وإطناب وإيجاز بين فنون الإبداع الإنساني تبعاً لاختلاف خصائص اللغات وطبائعها،كالتوليد والاشتقاق والنحت والاشتراك والترادف والتضاد وغيرها من القيم التي يوظفها الأديب الحق في تفجير المعاني»[3].

يمكن القول إلى حد بعيد أنّ الشعر هو ابن اللغة ومن خلالها تتضح مضامينه«ومن أدائها يأخذ زاده في رحلة التجربة المعرفية والعرفانية بوسائط اللغة المجازية الاستعارية بدءً من الصوت إلى الجملة،وغاية ما هنالك

[1] مداخل الأدب العربي،أحمد محمد عوين،ص95.
[2] جرجي زيدان،تاريخ آداب اللغة العربية.ص333
[3] مصطفى الغماري،في النقد والتحقيق،ص23.

أن المضامين تسمو بأدب اللغة ما في حال سموها وتنحط به في حال انحطاطها، فشعر التجربة الوجدانية مثلا في العصر الإسلامي وخاصة في البيئات البدوية والأعرابية أسهم في تطوير الأداء الشعري العربي،فهذب فن القول،وصقل الذوق وتميز باللفظ الرشيق والمعنى الشعري العميق،الذي ينساب مع الفطرة انسياب الماء في المجرى السلس والنماذج العليا لهذا الشعر من لدن عروة بن حزام إلى كثير عزة في تائيته مثلا إلى الصمة بن عبد الله إلى أبي صخر،فإنّ هذا المنحنى الإنساني الوجداني من فن قول الشعر صعد بالضامين إلى سموات عالية من المعاني الشعرية التي تشكلت في صور ألفاظ وعلاقات ونحن نرى أثر الإسلام واضحا في التجربة الوجدانية الإسلامية الأولى التي جعل منها الشعر الإسلامي»[1].

تجدر الإشارة إلى أن الشعر الإسلامي في هذه الفترة تمخض عن مبادئ عديدة تهدف إلى الدفاع عن الدين ومنع وصف الخمر والتشبيب الفاحش ومدح من لا يستحق ووصف الشيء بما ليس فيه فكل هذه الموضوعات تمثلت في أغراض مختلفة عرفها الشعر الإسلامي«وقد كان فن المديح في عصر صدر الإسلام فنا مجددا فنرى الشعراء في عصر الرسول يتوجهون بمديحهم إليه ونلحظ في مدائحهم تطورا واضحا من ناحية رقة اللفظ والاهتمام بالفكرة دون بهرجة الكلام وتزيفه،مع التأثر بالمضمون الإسلامي الجديد ويبدو هذا بوضوح في مدح العباس بن عبد المطلب"الذي يتحدث عن الرسول صلى الله عليه وسلم

ومنْ قَبْلِها طِبْتُ في الظِّلامِ وفي مُسْتَوْدِعٍ مستوْدَعٌ حيْثُ يَخْصِفُ الوَرَقْ

ثمَّ هَبطت البِلادُ لا بِشِرَ أنْتَ ولا مُضْغَةً ولا عَلَقْ

بل نُطْفَةٌ تَرْكِبُ السَفِينَ وقدْ أَلْجَمَ نِسْراً وأَهْلَهَا الغَرَقْ

تنْقُلُ من صالبِ إلى رَحِمٍ إذا مضىَ عالمُ بدا طبق

[1] المرجع السابق،ص24.

وأنت لما وُلِدت أشْرقَتِ الأرضُ فن وضاءٍ بنودِكَ الأفقْ[1].

لقد كان المديح من الأغراض البارزة في الشعر الإسلامي«فإذا تحولنا إلى المديح وجدناه يتحول في كثير من جوانبه إلى تصوير الفضيلة الدينية في الممدوح ووثَّق هذا التصوير في مديح الخلفاء و الولاة وأن الحكم والدين كانا مرتبطين ارتباطا لا تنفصم عراه،فمضى الشعراء يتحدثون عن تقواهم وأنهم يقيمون ميزان العدالة السماوية بين الرعية»[2].

طبيعي أن يؤثر الإسلام في موضوعات الشعر وتتنوع أغراضه من فن لآخر مثل الغزل الذي برزت فيه الكثير من الملامح التي تمت بصلة وثيقة مع تعاليم الدين الإسلامي«من براءة وطهر وصفاء ونقاء عند شعراء نجد وبوادي الحجاز وعند فقهاء المدينة و مكة،مما هيأ لظهور الغزل العذري بل لشيوعه،وكأنما أضفى الإسلام على المرأة وعلاقاتها بالرجل عند هؤلاء الشعراء ضربا من القدسية أحاطها بهالة من الجلال والوقار،فإذا الشاعر لا يدنوا منها إلا في احتياط،فيتحول إلى نفسه يشكو ما أصابه،وهي شكوى يلجأ فيها أحيانا إلى ربه على شاكلة قول جميل:

إلى الله أشكو لا إلى الناس حُبّاً ولا بدّ من شكوى حبيبٍ يُرَوِّعُ

ألا تتقين الله فيمن قتله فأمسى إليكم خاشعا يتضرع

فياربُّ حببني إليها وأعْطني المودة منها أنت تعطي وتمنع[3].

وهكذا يمضي الشعراء المسلمون في طرق كل الأغراض الفنية التي تتميز بخصائص جمالية مستمدة من وحي القرآن الكريم وهدي السيرة النبوية ولعلنا لا نبعد«إذ قلنا إن شعر الحماسة كان أقوى في تأثره

[1] مداخل الأدب العربي،أحمد عوين،ص96.
[2] شوقي ضيف،تاريخ الأدب العربي،ص176
[3] المرجع نفسه،ص177

بالإسلام من شعر الهجاء والمديح،إذ كان ينظم أكثر في الجهاد،ومعروف أنه كان دائما في صفوف المحاربين قصاص ووعاظ يحثونهم على الاستشهاد في سبيل الله حتى يفوزوا برضوانه ومن ثمة تحولت الكثير من القطع الحماسية إلى مواعظ خالصة وهذه ميزة جديدة فرضها أدب الإسلام إذا قورنت بأدبيات العصر الجاهلي

دع عنك دنيا وأهلا أنت تاركهم ما خير دنيا وأهلٍ لا يدومونا

وأكثر تقى الله في الأسرار مجتهداً إنَّ التقى خيرهُ ما كان مكنوناً[1].

لم تتجاوز أغراض الشعر في العصر الأول من الإسلام نشر عقائد الدين وأحكامه ووصاياه والحث على إتباعه فكانت كل المعاني تدور حول التحريض على القتال والترغيب في نيل الشهادة رفعا لكلمة الله ووصف القتال وحصار المدن والبعد عن وصف الخمر والهجاء في سبيل الدفاع عن الإسلام بما يرضي النبي صلى الله عليه وسلم من سيدنا فاحسان في هجاء قريش وقد امتاز هذا الشعر بمتانة التركيب وإحكام التعبير والبعد عن الخشونة وحسن التصرف في القول ولسعة الخيال ولطف الأسلوب ووضوح المعنى ويسمى شعراء العصر بالمخضرمين[2].

لعل أهم ما نحاول إبرازه في هذه الدراسة لأدب التشريع الإسلامي أنه أدب تميزت جملة نصوصه بالقيم الفكرية المستهدفة التي تشكلت من خلال إتحاد اللغة والمضمون«فشعر الإسلام لم يضعف وإن كانت بعض الأغراض الشعرية قد اختفت فذلك لعدم موافقتها للقيم الإسلامية التي التزم بها المخضرمون من الشعراء وهذه الجوانب هي المبالغات الكاذبة والتملق والاطراء والخواطر الآثمة وإن وصف الشعر

[1] المرجع السابق،ص180.

[2] ينظر:مصطفى بدر،المنتخب في تاريخ الأدب،ص61.

الإسلامي بصفة الضعف والسقوط بالنسبة للشعر الجاهلي،وصف بدأه الحاقدون على الإسلام والناقمون على كل ما ينتسب إلى الإسلام»[1].

يؤكد "الدكتور علي أبو الحسن الندوي" في فهم قضية الشعر في صدر الإسلام ويحاول أن يجد مسوغات لتأصيل ذلك الضعف الفني الذي ألصق بأدب التشريع وهو ينفي ذلك عن الإسلام والشعراء المسلمين وهذه الرؤية بطبيعة الحال قد تجانب الصواب كثيراً والدليل على ذلك هو تنوع الأغراض في تلك الفترة وملازمتها لكل المستجدات التي جدّت في الحياة العربية بعد الفتوح الإسلامية«مع أن مرحلة الانتقال بين العصر الجاهلي والإسلامي كانت في حقيقتها بالغة القصر،وقد ألقت هذه الحالة التي كانت عليها مرحلة الانتقال هذه بظلالها على المشهد الشعري الذي كان قائما إبان هذه الفترة الزمنية»[2].

لقد استطاع المشهد الشعري في هذه الفترة أن يلازم كل التحولات التي طرأت على البيئة الإسلامية أنذاك بحيث تنوعت«الفنون التي بقيت من الجاهلية كفن الرثاء فقد استمر هذا الفن كما كان موجوداً في الجاهلية لكن الشعراء ألبسوه لباس الإسلام في معانيه وألفاظه ويبدو هذا بوضوح في رثاء حسان بن ثابت للرسول صلى الله عليه وسلم ومثله في ذلك مثل بقية الشعراء،حيث نزعوا في رثاء الرسول صلى الله عليه وسلم منزعا جديدا بالحديث عن مآثر إسلامية خالصة وشمائل تختص بالدين والدنيا.

بطيبة رسمٌ للرسولِ ومعهدِ منير وقد تعفو الرسوم وتهمد

ولا تنمحي الايات من دار حرمةٍ بها منبر الهادي الذي كان يصعد

وواضع آيات وباقي معالم وربع له فيه مصلى ومسجد

[1] علي أبو الحسن الندوي،الأدب الإسلامي وصلته بالحياة،ص87

[2] أحمد محمد عوين،مداخل الأدب العربي،ص85.

بها حجرات كان ينزل وسطها من الله نور يستضاء ويوقد[1].

هناك فنون نشأت في الإسلام ولم تكن معروفة في الجاهلية أو قويت في الإسلام ولم يكن نشأنها في الجاهلية بارزاً.

إن لنا في الشعر الإسلامي القديم نماذج تستحق الثناء فقد حلق فيها الشعراء إلى سماوات من الفن لا يدركها العامة ولا يرتقي إليها إلا ذوي الهمم العالية التي تسمو بالبحث عن منبع الأدبية بخصائصها الفنية والجمالية.ولعل ما نسوقه من نماذج يبدو قليلا لكن المهم أن نوقن«المرام العالية للشعر فكلها ترتكز على الاختبار الروحي والاختبار الروحي هو الذي يكشف معالم جديدة في عالم الفكر والخيال ومن مراميه أيضا أن ينشد الشعراء روح الفضيلة والخلود والحقيقة والجمال وأن يرتفعوا على المادة الباردة إلى الملأ الأعلى فيرتوون من منابع الوحي الخفية ويقودون البشرية إلى ما هو أسمى من المادة وأعمق من الظواهر الطبيعية وهكذا نرى للشاعر روحا تختلف عن روح الإنسان العادي وفيه مزايا تقر به من العنصر الإلهي،وله رسالة لأنه المعلم الأول ورسالته تعلمنا كيف نفهم كل شيء ونستفيد من كل شيء ونتعالى عن حياتنا العادية ونتحرر من قيودنا المادية ونسمو إلى عالم روحي كله طمأنينة وغبطة فالشاعر على قول خليل جبران:«الوسيط بين القوة البشر وهو السلك الذي ينقل ما يحدث عالم النفس إلى عالم الحب وما يقرره عالم الفكر إلى عالم الحفظ والتدوين»[2].

كل المواصفات التي ذكرتها الدكتورة "ثريا عبد الفتاح"في النص السابق تجعلنا نجزم بالقول بأنها ملازمة تماما للشعر الإسلامي«الذي هو عصارة عقد ونيف من التجربة الشعورية والنفسية والفكرية واللغوية وكل

[1] المرجع السابق،ص103.

[2] ثريا عبد الفتاح،القيم الروحية في الشعر العربي قديمه وحديثه،دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر،دط،دت،ص،43، 44.

هذه التجارب العميقة تظافرت واتحدت وصبت في قالب من الشعر الذي أراه أقدر على حمل التجارب الإنسانية في تعاملها مع البيانية المشرقة في لغة العرب ولم يكن الفكر فيها غائبا أو ثانيا في الرتبة،بل اتحدت مراتب الفن والفكر في بوتقة الإحساس القوي والانفعال الصادق والشعور الأصيل»[1].

وهذا ما لوحظ تماما في أشعار الصحابة والأدباء والشعراء مثل سيدنا حسان بن ثابت الأنصاري وعبد الله بن رواحة وكعب بن مالك فهؤلاء الشعراء استخدموا الشعر للحياة الجديدة الإسلامية ولبعضهم جلالة شعرية مثل لبيد بن ربيعة صاحب إحدى المعلقات والخنساء أكبر شواعر العربية في عهدها الأول وعباس بن مرداس والنابغة الجعدي لكنهم آثروا الحيطة والزهد في ممارسة الشعر[2].

ذكرتُ سابقا بأن الشعر الإسلامي يزخر بنماذج متميزة جدا جعلته يتبوأ مكانة معتبرة ويقف شامخا في وجه مختلف التيارات و الأفكار الهدامة فمن«ضمن القصائد التي دخلت في نطاق الشعر الإسلامي وكتب لها الخلود"قصيدة"بانت سعاد"التي قرضها صاحبها بالسبك القديم ولكن في استعطاف رسول الله صلى الله عليه وسلم وبروح الوفاء للإسلام والخضوع له والحب لما يتلاءم معه فسمعها الرسول صلى الله عليه وسلم وأجاز عليها كما يجازي على الشعر العربي الجيد في ذلك العهد.

بانَتْ سُعادُ فقَلْبي اليَومَ متْبُولُ مُتَيمٌ إثْرها لمْ يفْدِ مكْبولُ

ومَا سُعادُ غُدَاةَ البَيْنِ إذا رَحَلُوا إلا أغُنُ غَضِيضِ الطَرَفِ المكْحول

إنَّ الرسُولَ لَنورٌ يُستَضَاءُ بهِ وصارِمٌ منْ سُيُوفِ اللهِ مسْلُولُ»[3].

[1] مصطفى الغماري،في النقد والتحقيق،ص48.

[2] ينظر:محمد البستاني،المختصر في تاريخ أداب العرب في ضوء المنهج الإسلامي،ص142.

[3] المرجع نفسه،ص143.

حظيت هذه القصيدة بهالة قدسية كبيرة من قبل الأدباء والنقاد فاكتسبت شهرة واسعة وتناولها العلماء بالشرح والتفسير،فقد زخرت بجملة من الخصائص الفنية والجمالية سواء كان ذلك على مستوى اللغة أو المضمون فمزج الشاعر بين خصائص القصيدة الجاهلية والقصيدة الإسلامية وقد استهل ذلك بمقدمة غزلية يتبعها بوصف لناقة ثم مدح واعتذار لرسول صلى الله عليه وسلم،فارتبطت لغته بطبيعة الموضوع الذي يتحدث عنه فهي لغة مهذبة رقيقة إلى جانب إمعانه في الألفاظ العربية الجاهلية،أما في مدحه لرسول صلى الله عليه وسلم وللمهاجرين يبتعد عن الغريب ويستخدم عبارات إسلامية مهذبة عبر بها عن المعاني الإسلامية من ذلك"ما قدر الرحمن مفعول"و"نافلة القرآن"ورسول الله "و"الرسول"فضلا عن المعاني التقليدية،ولكنه في وصف الأسد الذي شبه به النبي صلى الله عليه وسلم ارتدى إلى الألفاظ الجاهلية العربية.

منْ ضَيْغَمٍ مِنْ ضَبَرَاءِ الأسد مُخدرِهِ ببطْنِ غِيلَ دونهُ غِيلْ

يَعْدو فَيُلْحِمُ ضَرْغام ين عَيْشَهُما لحْمُ من القومِ معْفوز خَراذِيْلُ[1].

إنَّ المتأمل لهذه القصيدة يلحظ جيدا براعة كعب بن زهير في إجادته للوصف والثناء والمدح والاعتذار لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقد تمكن الشاعر من نيل العفو من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم"وخلع عليه برْدته التي كان يلْبسُها وقد اكتسى بها وسميت قصيدة"البردة"

ليس هذا كله ما أثر به الإسلام في الشعر بل هناك أغراض أخرى من الصعوبة بمكان أن نتمكن من حصرها لأنها متعددة بتعدد العصور الإسلامية«فالأدب الإسلامي لا يقف عند فترة الرسول عليه الصلاة والسلام وإنما يمتد إلى فترات حكم الخلفاء الراشدين وقد كانت هذه الحقبة مائجة بالأحداث الكبار

[1] سامي يوسف أبو زيد،الأدب الإسلامي والأموي،ص75.

كحروب الردة والفتوحات الواسعة والفتنة الكبرى التي وقعت بين علي رضي الله عنه ومعاوية بن أبي سفيان،فلا يخفى ما كان من الأثر الذي قرضته هذه الأحداث الكبرى على الساحة الأدبية»[1].

إنَّ لالتزام بقيم وأراء في النطاق الاجتماعي القومي سواءً كان مدنياً أو ثقافيا أو كان دينيا يفرض سيطرته على أقوال الناس وعلى اتجاهاتهم كثيراً فالأدباء والشعراء هم جزءٌ منهم يعبرون عن هذه الاتجاهات والميول ولما جاء الإسلام تبدلت القيم واصطبغت بصبغة دينية بالمحافظة والزهد فليس أمرا غريبا ولا عيبا على الأدب الإسلامي،وإن وجدنا فيه غرابة فلماذا لا نستغرب من الأدب الشيوعي والاشتراكي الذي يكثر فيه الالتزام بالعقلية الاقتصادية الواضحة ويتقيد بروح أكثر ما نجد فيها هو الجفاف والخواء والضرب على وتر واحد من الحياة فالأديب مهما كان حراً في أدبه لا يخلو من تقيد والتزام»[2].

في هذا الغمار من الأفكار المتعلقة بالشعر لا بد«أن نشير بأنه كان في أول أمره حذرا آخذا بالحيطة الشديدة تاركا لمجالات كثيرة من الشعر وطارقا لمجالات معينة ثم مشى على درب اهتدى إليه بفهم تعليمات الإسلام فكان دربا إسلاميا للشعر،ثمّ تطور في هذا الدرب وظهرت ابتكارات استطاع بها أن يكون شعرا قويا متماسكا ممتازا بخصائصه وهي خصائص تتفق مع خصائص الشعر القديم فيما تلاءمت مع الإسلام وتختلف عن خصائص الشعر الجاهلي فيما تعارضت»[3].

لقد أفصحت في مواطن عدة على جملة من الخصائص الفنية والجمالية التي شكلت أدبية الشعر الإسلامي خاصة فيما يتعلق باللغة والمضامين ومع ذلك لا بد«أن ننتهي إلى أن الشعراء الإسلامين إذا اتفقوا في شيء فهو أنهم نشأوا في حياة الإسلام ولكنهم يختلفون بعد ذلك في أمرين:يختلفون في طباعهم

[1] أحمد محمد عوين،مداخل الأدب العربي،ص16.
[2] علي أبو الحسن الندوي،الأدب الإسلامي وصلته بالحياة،ص90.
[3] المرجع نفسه،ص91.

ومزاجهم من نحو،ويختلفون باختلاف بيئاتهم وأقاليمهم من نحو آخر لأن للأقاليم أثار مختلفة في حياة أهلها وتلك حقيقة واضحة كما يقول "الدكتور طه حسين"أن للحجاز حياة خاصة من نحو مادي ومن نحو اجتماعي وسياسي أيضا،وللعراق كذلك حياته الخاصة التي تختلف من هذه الأنحاء عن حياة الحجاز فيقل شعراء الحجاز من المدح والهجاء ويكثرون من الغزل على هذا النحو الذي يصور حياتهم حياة مرحة مبتهجة ...ويقف بعض الشعراء في نجد وبادية العراق شعرهم على المدح والهجاء والفخر مثل ما كان الحال قبل الإسلام بل ويتعمقون في ذلك ويسرفون على حين يعني بعضهم الآخر بلون خاص من الشعر هو الشعر السياسي»[1].

من الطبيعي جدا أن يختلف الشعراء وهم يخضعون لمؤثرات مختلفة ويمثلونها وهذه المؤثرات لا تقتصر على فن الشعر فقط«وإنما تتجاوز ذلك إلى مادة الشعر في ألفاظه ومعانيه فإذا وفق الشاعر أن يعيش عيشة نعيم كما وفق إلى ذلك شعراء المدن في الحجاز فستكون معانيه معاني مترفين وستكون ألفاظه ألفاظ المترفين وإذا ظل بدويا خشن العيش كما كان الحال في نجد وبادية العراق فسيظل الشعر بدويا في ألفاظه ومعانيه»[2].

ركز "الدكتور طه حسين"في كتاباته النقدية المتعلقة بالشعر والشعراء في العصر الإسلامي على الحديث عن بيئات الشعر أنذاك وعلى المؤثرات المختلفة التي تحكمت في الإبداع فمنها ما كانت اجتماعية ومنها ما كانت سياسية«غير أن الشعر الإسلامي لم يخضع لمؤثرات الإقليم فحسب وإنما خضع لمؤثرات أخرى تتصل بالبيئات السياسية والأحزاب ففي العراق ظهرت المعارضة السياسية لحكم بني أمية مادية في حركات المقاومة وكلاميا في الخطب والأحاديث ولم تكن هذه المعارضة ممكنة في الحجاز»[3].

[1] طه حسين،من تاريخ الأدب العربي،ص468.
[2] المرجع نفسه،ص468.
[3] نفسه،ص469.

ما يمكن أن نخلص إليه في هذا المبحث أن الشعر الإسلامي تمخض من بيئات مختلفة وخضع كذلك لمؤثرات اجتماعية وسياسية مختلفة لكن الهدف كان واحدا«لأنه ارتفع بالمضمون العام إلى مستوى عميق من التجربة الخاصة،وأن لا ترى ذاتك وصفاتك وآمالك وآلامك إلا بعيون العقيدة التي تنتمي إليها،وتموت فيها وتفنى ذراتك وكليات،وستلفي أنذاك كونك شاعرا لا ينافي كونك كذلك تحمل من خلال الشعر انتماءً تخلص له،بل سياسة ما أو عقيدة ما لا سيما العقيدة الحقة التي لا يكون انتماؤك إليها كاملا إلا إذا لم تر الفصل فيها بين الحقيقة والشريعة إلا تعطيلا لها ورفضا كليا لكلياتها،فالبعضية في الإيمان وكذلك في العمل من عقائد اليهود ومن سايرهم منذ القديم من المتهودين الذين سماهم الله في كتابه الأجل-ومن أحسن من الله قيل-وجعل له في الدنيا مكانة الخزي وفي الآخرة مكان الدرك الأسفل»[1].

ختاما لا بد أن نشير بأن الشعر الإسلامي كان دوما ساعيا وراء غاية منشودة لا تفتر همة لإدراكها ولا ينكل عزم ولا تزل قدم،تلك الغاية أن يكون الشعر سلاحا في خدمة الأمة الواحدة ذات العقيدة الخالدة بعيدا عن الوعظية المباشرة والنثرية والنظمية التي قتلت الفن أو كادت ستنتصر الكلمة على الحصار والتهميش كانت صادقة ومؤمنة قوية لا تأخذ زادها من الأنا المنطفئة ولا تقتبس نورها من عين حمئة بل تزرع الأحقاد في الآفاق فتأخذ بالفن من أطرافه،وتنقاد لها عاصياتها وتلين لها أبياته،فتدرك مالا تدرك من غايات وغايات[2].

على ذكر الفن تذكر كل الأشياء الجميلة«فالفن هو انعتاق ولحظة سكينة،هو تجاوز للإرادة نحو الرؤيا وتجاوز للرغبة نحو التأمل»[3].

---

[1] مصطفى الغماري،في النقد والتحقيق،ص39.

[2] ينظر:المرجع نفسه،ص48.

[3] إنوكس،النظريات الجمالية (كانط هيجل شوبنهاور)عربه وقدمه د.محمد شفيق،شيا منشورات بحسون الثقافية،بيروت-لبنان،ط1405،01هـ/1985م،ص19.

هذا ما سأفصل فيه لاحقا في الأعمال القادمة ولنا وقفات مع محطات متعددة لنظريات الفن والجمال في الفكر الغربي،متطرقة في ذلك إلى ذكر أبرز الأعلام في هذا المجال وأنتقل إلى الحديث عن صدى هذه النظريات وتأثيرها في الفكر العربي الإسلامي خصوصا فيما يتعلق بفلسفة الجمال، إذن كيف تم إدراكها الأول عند العرب؟وما هي المنابع الأولى التي استقت منها هذه الفلسفة؟

الفصل الثاني

الفصل الثاني: فلسفة الجمال في الفكر العربي الإسلامي.

المبحث الأول : فلسفة الجمال عند الغرب.

تعد القيم الجمالية و الفنية غذاء الروح الذي لا يقل أهمية عن الغذاء المادي للإنسان إن لم نقل أن الغذاء الروحي أكثر و أشـــد أهمية من الغذاء الطبيعـــي المادي للإنسان و نعني بالغـــذاء الـــروحي كل ما يســـاعدنا على إن يبقى عالمنا جميلا يسر العين و الروح و يقي الجسد من العلل البدنية ,و العطب النفسي و يشكل الموقف من القيم الجمالية و الإبداع الجمالي و الفني و التعامل مع الجمال و الفنون بعدا أساسيا في الحضارة الإنسانية ،فالحضارة التي تخلو من الجمال والفنون و تنعدم فيها صناعة الموضوعات الفنية و الجمالية لهي حضارة متخلفة لا تتجاوب مع مشاعر الإنسان و لا تلبّي أشواقه النفسية و نزعته الفـــطرية إلى الخير و الحق و الجمال ،ولا تعبر الآن نفسه عن إنسانيته "[1]

يؤكد الدكتور خلف على الأهمية القصوى التي يكتسبها الفن في الحياة و أن الحضارة الإنسانية لا تقم لها قائمة إلا بالفن و الجمال "فقد لعب الجمال و الفن بمعناهما الواسع دورا كبيـــرا في حياة الإنســـان ،إن كانا و لا يزالان مظهرا من مظاهر تميز الإنسان العاقل عن باقي المخلوقات و وسيلتين تعبيريتين لهذا الإنسان عما يُحسُّه من مشاعر و انفعالات و كلما ارتفع مستوى هذا التعبير ،ارتفع معه مستوى هذا الإنسان و مستوى الحضارة التي يعيش فيها فالمجتمع الذي يعنى بالفن و الجمال هو.

1- ينظر :بشير خلف ،الفنون لغة الوجدان ،دار الهدى ،الجزائر،د ط،2009 ،ص03.

مجتمع يستطيع إن يحافظ على توازنه و ترابطه ،يسمو بأفراد إلى مراتب تساعدهم على الوئام في محيـــــطهم و الحرص على تحسين واقعهم ،مجتمع يرتفع بأفراده فوق مستوى الحيـــاة العادية و يمنحهم خبـــرات ايجابية و يشحنهم بطاقات روحيـــة يسمون بها فوق الروتين اليومي فيحقـــقون ذواتهم أفرادا و مجتمعا" [1].

يؤكد النص السابق على نشاط إنساني ضروري تفرضه ضرورة النفس البشرية التي تحب كل شيء جميل لأن هذا الأخير يتصل بوجدان الإنسان و مشاعره "وهو يعمل على تكوين الميول و الأذواق و الاتجاهات النفسية ،فالفن الذي يندرج ضمنه الجمال بات وسيلة أساسية للتعبير و التواصل بين البشر في إطار الظاهرة الاجتماعية و يتجاوز باعتباره أداة تعبير كونه أداة فردية تعبر عن صاحبـــها ليصبح تعبيرا عن حالة عامـــة،أو ثقافة مجموع في زمان و مكان معين ،كما يؤكد حاجة الإنسان للفن احتياجا أساسيا بحكم تكوينه الطبيعي يحتاج له كمبدع و متلق".[2]

يتَّضح من خلال ذلك أن الفن نزعة إنسانية و جمالية تخلقها الرغبـــة في الإبداع كمكـــون أساسي ،وقد يذهب باحث آخر في مقاربة لهذه المفاهيم التي تؤكد من خلالها "أن أي نشاط تقوم به النفس البشرية و تلازمه و تقيم عليه إنما يصدر عن نزعة من النزعات الأساسية المرتهنة لها بالحتمية،والتي لا تبلغ النفس مداها إلا بها و لا قِبَل لها بتحقيق ذاتها إلا من خلالها ،فالظاهرة الفنية هي ظاهرة حتمية في النفس البشرية و ليست لهوا تلهوا به أو اختيارا تختاره و معنى ذلك أن العمل الفني ..... هو عمل جدي مسؤول ،به وحده يعثر الإنسان على عزاء لمصيره الغامض بين يدي الحياة و به يصارع الجهل و الظلمة اللذين يحقـــدان به من الحواس المادية و العقل الذهبي المنطقي. "[3]

1- المرجع السابق،ص04
2- المرجع نفسه :ص05
3- إيليا الحاوي ،"في النقد و الأدب"ج2 مقدمات جمالية عامة.مقطوعات من العصر الإسلامي و الأموي ،ط4،دار الكتاب اللبناني،بيروت1979 ،ص07،

إن الحديث عن الغذاء الروحي يجعل أذهاننا تنصرف مباشرة إلى غرض تفاصيل دقيقة من الموضوعات التي تتعلق بالروح،سواء كان ذلك بالفكر أو المطالعة أو القراءة أو الثقافة و كل هذا يعد من مظاهر الحضـــــارة و المدنيَّة التي تمس الإنسان و البشرية جمعاء،فعلى سبيل المثال نجد أن الإسلام حمل إلى العالم فلسفة كاملة تجلت من خلالها جملة من الفنيات التي تحبذها و تستلطفها النفس ،فالقرآن الكريم يعتبر دليلا ثابتا يقترح لنا مضمونا روحيا و ايجابيا توضحت فيه كل الملامح الجمالية و الفنية التي تنطوي ضمن الإعجازية الأدبية لهذا فيمكن القول"أن الإسلام يبوّءُ الفن و الجمال مكانة متميزة لأنه أعظم دين غـــرس حـب الجمال و الشعور به في أعماق كل مسلم، وقارئ القرآن يلمس هذه الحقيقة بوضوح و جلاء ،فهو يريد من المؤمن أن ينظر إلى الجمال مبثوثا في الكون كله في لوحات ربانية رائعة الحسن ،أبدعتها يد الخالق المصور الذي أحسن كل شيء خلقه **قال تعالى: "مَا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَانِ مِنْ تَفَاوُتٍ" الآية (3) سورة الملك**[2] ،فالقرآن الكريم يلفت الأنظار و ينبّهُ العقول و القلوب إلى الجمال الخالص لأجزاء الكون و مفرداته ... والقرآن يوجّه الحسن البشري للجمال في كل شيء،و إنه يسعى لتحريك الحواس المتلبـــدة لتنفعل بالحـــياة في أعماقـــها و تتجاوب تجاوبا حيا مع الأشياء و الإحياء،و هناك يلتقي الفن بالدين فإنهما يلتقيان في ثورتهما على آلية الحياة و على نسقها الرتيب و على ظاهرها المسطح".[1]

إن المتأمل للقرآن الكريم و المتدبر لآياته يدرك جيدا بأنها صُوِّرت تصويرا فنيا رائعا تطمئن إليه النفوس و تسمو فوق كل شيء و في هذا الصدد يقول الدكتور **بشير خلف** :"فإن القرآن بهذا كله و بغيره ،يريـــد أن يوقظ الحس الإنساني فينا ،حتى نشعر بالجمال الذي أودعه الله فينا و في الطبيعة من حولنا و أن نملأ

1- بشير خلف،الفنون لغة الوجدان ،ص07.

عيوننا و قلوبنا من هذه البهجة و هذا الحس المبعوث في الكون كله وقد أحيا الإسلام أنواعا مـــن الفنون و ازدهرت في حضارته و تميزت بها عن الحضارات الأخرى مثل فن الخط و الزخرفة و النقوش في المساجد و المصاحف و المنازل و السيوف و الأواني النحاسية و الخشبية الزخرفية " [1] ، ما دمنا في حديثـــنا عن الثقافة الإسلامية الشامخة فلا بد أن نشير بجدارة و استحقاق لعظماء هذه الأمة الذين غلب عليهم طابع السمو و الطهر و النزوع إلى المثل العليا و المبادئ الشريفة، فنبينا محمد صلى الله عليه و سلم هو الراعي الأعظم للإسلام و من أكثر أهل اللغة و آدابها فقد تبين في كلامه جمالا فنيا لا يضاهى كما ذكر أديب العربية مصطفى صادق الرافعي في كتابه **وحي القلم** :"فإذا تدبرت هذا المقال و اعتبرت كلام النبي صلى الله عليـــه و سلم على ما بيَّنا و شرحنا و أخذته من عصر و من العصر الذي تعيش فيه و نظرت إلى ألفاظه و معانيه و استبرأت ما بينها من خواص الفن بمثل ما نبهناك إليه من التأويل الذي مـــرض بـك و علمـت أن كل حقيقة فنية لا تكون كذلك إلا بخاصة فيها ،و أن سر جمالها في خاصيتها ،فإنك لن ترى مذهـــبا من الإقرار بأن النبي صلى الله عليه و سلم هو أعظم نبي و أعظم مصلح ،فهو أعظم أديب لان فنه أدبي أعظم فن يحقق للإنسانية حياة أخلاقها و هو بكل ذلك أعظم إنسان صلى الله عليه و سلم " [2].

انطلاقا من النصوص السابقة يجب أن ندرك بأن الفن ماثل في أدبيات القرآن الكريم و أدبيات الرسول صلى الله عليه و سلم وهو ملازم للجمال الذي يكون في القول كما يكون في الفعل و كل هذه الأشياء تجلت بوضوح في رسولنا الكريم صلى الله عليه و سلم ، فقد كان مثالا أعظم يُقتَدى به فعندما نتصدى للحديث عن الإنسانية فلابد أن نذكر محمد صلى الله عليه و سلم النبي الأعظم "فلهذا يجب تأمل الجمال الفني في كلامه صلى الله عليه و سلم ،فهو كلام كلما زدته فكرا زادك معنى و تفسيره قريب كالروح في جسمها البشـــري و لكنه بعيد كالروح

1- المرجع السابق:ص 12.
2- مصطفى صادق الرافعي ، وحي القلم. ج3 ،دار الأصالة ،الجزائر للطبع و النشر و التوزيع،2010م ص11.

فهو معك على ما قدر أنت معه إن وقفت على حد وقف و إن مددت مدَّ و ما أدَّيت به تأدى ، وليس فيه شيء مما تراه ،لكل بلغاء الدنيا و من صناعة عبث القول و طريقة تأليف الكلام و استخراج وضع من وضع و القيام على الكلمة حتى تُبيض كلمة أخرى ،و الرغبة في تكثير سواد المعاني و ترك اللسان يطيش طيشة اللغوي يتعلق بكل ما عرض له و يحذوا الكلام على معاني ألفاظه و يجتلب له منها و تستكرهها على إغراضه و يطلب على صناعته من حيث أدرك و من حيث كان و لم يكن " (1).

هكذا يبدو جليا أن التصور الإسلامي له منهج فني خاص به" فهو ينظر إلى الإنسان على انه مخلوق من مادة و عقل و روح ،و هو مكرم من الله الذي قد سخر له الكون كله " (2). فمسألة الجمال كان لها حضورا قويا في كل الديانات و على مختلف الثقافات و قد حظيت بدراسات مستفيضة من قبل الأدباء و النقاد و الفلاسفة من العرب و الغرب من علماء الاجتماع و النفس و الفلسفة ولهذا فالحديث عنها يطول و يطول أكثر لأنها مسَّت جوانب متعددة من المعارف المتنوعة لثقافات متباينة ،فقبل الخوض في الحديث عن فلسفة الجمال في الفكر الإسلامي ،فلا بدَّ أن نتوسع قليلا في هذه الفلسفة كتاريخ و نظرية في الثقافة الغربية التي كان لها الفضل السبق في الإشارة إلى ذلك: فعلم الجمال يعد علما فلسفيا نشأ في أحضان الفلسفة منذ نشأتها الأولى حيث كانت تعني بالإنسان بوصفه موجودا حيا فاعلا و تعني بعلاقته بالكون و الفاعل الغيبي فيه وفق نظرة الفلسفة المثالية تلك التي تؤمن بفكرة الخالق و الخلق و عالم الغيب ، ولقد ظل علم الجمال فرعا من فروع الفلسفة في العصور الوسطى وكذلك في عصور النهضة و امتدت تبعية هذا العلم للفلسفة الحديثة تلك التي عنيت بالإنسان و علاقته الوجودية المادية أي علاقة الأنا بالغير سواء أكان فردا أو جماعة باستثناء الماركسية التي نظرت إلى دور الجدل التاريخي المادي و صراع الطبقات و دورها في التحول التاريخي نحو مستقبل إنساني أكثر عدل. (3).

1- المرجع السابق،05
2- بشير خلف ،الفنون لغة الوجدان،ص33.
3- ينظر:جماليات الفنون،أبو الحسن سلام ص05 ،(11-12).

يمكن القول إلى حد بعيد أن علم الجمال ارتبـــــط في بدايته بفلسفـات مثالية قديمة مثل فلسفة أفلاطـــون و أرسطو ثم "ظهـــــر اسم علم الجمال لأول مرة عام 1735 في مــؤلَّف "الكسندر بومارتن" و عنوانه: Alexander Baumgarten /Réflexions poetry.

حيث ظهر له أن هناك نوعا من المعرفة أو الإدراك في الشعر و في الفنون الأخرى و أصبح مصطلح بومارتن "**علم الجمال**" من المصطلحات الدائمة في قاموس الفلسفة بعد أن استبعد بومارتن التأملات العقلية التي ظهرت مسيطرة على علم الجمال حتى القرن الثامن عشر ولقد تطور بفضل نظريات جمالية مادتها الأساسية هي الخبرة الجمالية "[1].

ما نخلص إليه حول نشأة هذا العلم أنه كان لونا من ألوان النشاط الفكري منذ نشأة الفلسفة عند اليونان ،حيث تُمثِّل هذه الأخيرة المعرفة الشاملة لمختلف المجالات "فكان التفكير الجمالي ينحو نحوا عقليا منطقيا تبعا لطبيعة الفكر الفلسفي و مستوياته حيث أن الوعي الجمالي و الشعور و القيم لذاتها مستقلة عن أية فوائد عملية لم تعرف في ذلك الحين." [2]

انطلاقا من التوصيف السابق يمكن أن نجزم بالقول بأن علم الجمال يدخل ضمن إطار الفكر الفلسفي وقد تباينت نظرة الفلاسفة إليه و المبدعين على اعتباره أن الإبداع لا يسمى إبداعا ما لم يزخر بالقيم الجمالية التي تغلف القيم الموضوعية لتجلب الإمتاع في رحلة الوصول إلى الإقناع ،فمنـــــهم من يرى بأن الجمال ينبـــــع من الموضوع المطروح في العمل الأدبي و الفني و منهم من يرى أن القيم الجمالية تنبع من المجتمع نفسه و فريق آخر يرى بأن هذه الأخيرة تتضمن في اشتمال العمل الإبداعي أدبا و فنا على قيم بعينها تؤمن بها جمـــــاعة من الجماعات مثل القيم الدينية أو السياسية غير أنه قد وُجِد من ينسب القيم الجمالية إلى التقدير الذاتي للشخص نفسه وفق حالته النفسية و هناك من يرى أن تقدير القيمة الجمالية بعد استخلاصها من العمل الأدبي أو الغني لا يتأتَّى إلا من خلال تأمل و إعمال ذهني للمتلقي قراءة و إسماعا أو مشاهدة [3].

1- **المرجع السابق:ص12.**
2- **المرجع نفسه :ص15.**
3- **ينظر:أبو الحسن سلام،جماليات الفنون، ص 14.ص15.**

استنادا إلى هذا الأساس النظري الذي قُدِّم سابقا حول علم الجمال ،فيجب أن نشير بأنه لم يجد شكله حتى في القرن الثامن عشر و هذا الشكل و لم يكشف دفعة واحدة و إنما كانت هناك إرهاصات و محاولات تمثلت في مجهودات الإغريق النظرية و هذه الأخيرة هي التي وفرت الشروط و سمعت بتميز علم الجمال على أنه علما مستقلا بذاته،إلا أننا نلحظ ظاهرة مؤداها أنه علم الجمال قديم و حديث في آن واحد خاصة إذا حاولنا تتبع بعض الانجازات القديمة التي كانت لها صلة بالفن "فوجود النظرية الأولى لدى قدماء المصريين و البابليين و الصينيين ثم لدى الإغريق حيث توفر لهم نتاج فني و فكري فلسفي سمح بقيام حس نقدي عملي على مستوى علمي نظري قادا معا إلى أفكار جمالية واضحة التميز كمضمون ،و في الوقت الذي قاربت فيه كشكل من اكتشاف علم الجمال كعلم مستقل"[1]

ما ذُكر سابقا يلفت الأذهان إلى الحقل الذي ساهم في نشوء هذا العلم و إلى الإرهاصات الأولية و التراكمات المعرفية التي تشكلت وفق مسار تاريخي " تمثل في تميز متصاعد للفكر في حضارات العالم القديم ،في الشرق الأقصى و وادي النيل التي مهدت لفكرة الفن كمعطى مستقل مثلما بدت بوضوح في نهاية ملحمة جلجامش السومرية و في الانجاز المعماري الذي تحقق للمصريين في الأهرامات فبفضل هذا أمكن للإغريق في مدن آسيا و في اليونان و جنوب إيطاليا أن يدفع والى التاريخ تحولات في العلم و الفلسفة و الفن في فترة زمنية قصيرة بين القرن السادس و القرن الثالث قبل الميلاد و بدأت أفكار الإغريق الجمالية بالظهور و التميز مع ظهور" **إلياذة الأوديسا" لهوميروس** في القرن السابع قبل الميلاد وهنا تميزت مصطلحات الجميل و الرائع و الموسيقى و الرقص و أصبحت فكرة الجمال حرفة أو نتاجا إنسانيا بمختلف مدلولاته و التي ستكون أهم اكتشافات الإغريق و انجازاتهم "[2].

1- **أنوكس:النظريات الجمالية،كانط ،هيجل،شوبنهاور،ص15.**
2- **المرجع نفسه ص 16.**

إن من يمعن النظر في النص السابق يدرك جيدا أن ملامح الفن و الجمال لا تظهر في العلم أو الفكر أو الفلسفة فقط بل حتى في العمران و في طريقة العيش المنتهجة آنذاك عند الإغريق ، فقد اتسع عمران هـذه القرى لتتسع و مدنا مستقلة لكل منها معتقداتها و قوانينها ،فاتسمت حياة المدن الإغريقية ببحبوحة مادية و تقدم حقوقي دستوري و ثراء فكري ثقافي أتاح لهم أن يمارسوا حرية نسبية في الجدل و التنوع السياسي و الغنى الفكري و الثقافي و مع ازدهار أثينا الرومي ازدهرت فيها حركات ثقافية و فنية ناشطة بخاصة في الشعر و المسرحية ،و ازدهرت تبعا لذلك التفكير الفلسفي لارتباطه الوثيق بحركية الحياة اليومـــية و الفنية و السياسية و الاقتصادية و في هذا الإطار التاريخي و في ظل تقدم نظري فلســـفي هائل برزت و للمرة الأولى أفكار جمالية واضحة محددة و متميزة و ذلك على أشهر أيدي فلاسفة الإغريـــق من "فيتاغوث و سقراط و أرسطو و أفلاطون [1].

على العموم لا بد لنا من إلمـام شامل لهؤلاء الأعـلام في هذا الميـدان لكـن لا يمكنـنا ذلك بـــحال من الأحوال ،لأن هذا من شأنه أن يجعل الطريق طويلا و سأقتصر الحديث عن أبرزهم بدون أن أتَّبع خطة تاريخية متسلسلة ، وان كان في الحقيقة الواحد فيهم لا يقل أهمية عن البقية خاصة و أن التنظير لعلم الجمال اتسع ليشمل الفلاسفة و العلماء و النقاد فقد كان "**أرسطو(384م-322م)** ذروة صعود الإغريق في ميدان العـــلم و في فروع الفلسفة بالذات ،توفر لأرسـطو تراث هـام في مختـلف ميـادين المعـــرفة في الطبيـعة و الرياضـــيات و المنطق و الإلهيات و الأخلاق و السياسة كما في سائر الأنواع الأدبية و الفنية عموما ،فأتاح له ذلك أن يقف على آخر نتاجات العقل الإغريقي و أن يقارن و ينتقي من خلال ملكـــــاته النظرية و مهاراته العلمية ليقدم لوحة شبه تامة لعلم الإغريق و لمعظم جوانب عقلهم و إبداعهم" [2].

1- ينظر:أنوكس:النظريات الجمالية،كانط ،هيجل،شوبنهاور،ص18.
2- المرجع نفسه:ص20.

لقد تعددت مقاييس الجمال في مختلف العصور فمثلا في العصور الوسطى كان يصدر عن اتصال النفس البشرية بمعنى في الجميل فلقد كان القديس **"أوغسطين 354م-430م** هو أحد أوائل المنظرين في أثناء مرحلة الإقطاع في القرون الوسطى و كان يقول:"إن الرب هو الجمال الأبدي المطلق الذي يخرج عن نطاق الإحساس و أن الفن لا ينتج صورا واقعية لهذا الجمال " ،ويرى أن شكل الفن يجب أن يترفع عن مضمونه و أن ينصاع تماما لتعاليم الكنيسة و من هنا غدا الغموض و الرمزية السمتين المميزتين للفن" [1].

استنادا لما ذكر سابقا يذهب باحث آخر في رصد جملة من المفاهيم التي تتعلق بعلم الجمال عند القديس **"أوغسطين"** من أن "مصدر الجمال هو الله و أن الطبيعة عي العمل الفني لله ،فالجمال وحـــده ينبثـــق من الواحد الذي هو مصدر الخليقة" [2].

لقد أشرنا سابقا عن المنظر"**الكسندر بومارتن** الذي توضح معه بشكل صريح مصطلح "**علم الجمال**" وقد كان ذلك في عصر النهضة ،فهو يرى بأن الجمال كمال يشعر به الإنسان دون الحاجة إلى التأمل العميق"3.

اختلف الفلاسفة و النقاد و العلماء في مصدر الجمال و في مقاييسه المختلفة فالكل يدلو بدلوه وفي خضم هذا الفضاء الواسع حتى الرومنتيكيون كان لهم باع طويل في هذا الميـــدان ، ومن أبرزهم نجد "**ديكارت**" و "**شيليخل" و "كانط" و "هيجل" و "مايكل أنجلو" و "جوته" و "كروتشه" ،"فرويد"** ،ولقد تميز كل منهم بنظرته الخاصة "**لعلم الجمال**" ففي المرحلة الرومنتيكية يتعدى الفن حدود كشف الروح المطلقة عن ذاتها عبر الإحساس و الصور و يرتقي إلى الشكل الأعلى و هو الفلسفة " [4].

لقد حاولت بقدر الإمكان أن أدرج جملة من الانجازات الجمالية و بعض القيم التاريخية في منتهى ما بلغه الإغريق من فن و علم و منطـــق فنجد على سبيل المثال لا الحصر،أن أهم أفكار **"أرسطو"** الجمالية تظهـــر في كتابه **"فـــن الشعر"**

1. **أبو الحسن سلام،جماليات الفنون ،ص17.**
2. **كريب رمضان،فلسفة الجمال في النقد الادبي ،مصطفى ناصف نموذجا ،ديوان المطبوعات الجامعية،بن عكنون،الجزائر،2009م،ص53.**
3. **ابو الحسن سلام،جماليات الفنون ،ص18.**
4. **المرجع نفسه .ص20.**

وهو كتاب معروف لدى العرب منذ القرن الثالث للهجرة ،ترجمة **أبو بشر المعتمر** كما أورد الفارابي تلخيصا له في رسالته عن قوانين صناعة الشعر و قد ورد في أعمال ابن **"سينا" و "ابن رشد":** أن الكتاب يشكل وثيقة تاريخية ،فيرى أرسطو أن التناسق و الانسجام و الوضوح من أهم خصائص الجميل و هكذا فإن هناك جمالا حقيقيا في هذا العالم و هو مصدر وعينا الجمالي و أعمالنا الفنيـــة و لذلك فإن الفن هو محاكاة تنـــشأ من ميل الإنسان الغريزي إلى التقليد" [1].

تلك هي أهم التطورات الجمالية في العالمين القديم و الوسيط عرضتها بإيجاز ،لا تأريخا كاملا و مفصلا لتحولات علم الجمال ،و إنما توطئه تضع القارئ في مناخ يُعَرِّفه على بعض الأعلام و الأفكار و المحطات التاريخية ،لكن لا بد أن أشير في خضم هذه المناقشة إلا أن شعلة العقل التي أضاءها الإغريق قـــد ذَوَت إلى حد كبير في أوربا العصر الوسيط و ذلك لا يعنى أن الشعلة قد انطفأت بل كانت تَتَّقد في مكان آخـــر في الشرق العربي الإسلامي و ليعطي إشعاعها و في أقل من مئة عام عالما اتسعت أرجاؤه لتمتد من الصين شرقا حتى الأندلس غربا ،فقد أمكن للعرب أن يؤسسوا مدينة متقدمة اقتصاديا و سياسيا و هو ما أنتج بالتأكيد و أسهم في إنتاج مظاهر ثقافية و فنية غنية للغاية بعد المائة سنة الأولى و هي التي قضاها العـــرب في الفتوحات والدعوة و استقرت أوضاع الخلافة ،وكذلك تدفقت ثروات طائلة أسهمت في إشاعة مناخ من الرفاهية و الترف إلى ذات الدنيا فشاع الغناء و الموسيقى حتى تحولت بغداد إلى دارة غنَّاء كبرى و تفنن أرباب القصور في تزيينها و زخرفتها و هذه العناصر استدعت بالضرورة دفعا لحركة الفن إلى الأمام فقد كثرت فنونه و تعددت أشكاله و بالتالي تغيرت أحكامهم الجمالية بل أصبحت لديهم نظَرِيَّتَهم في الجميل و الجمال وتبدلت أحكام و ذهبت قيود و تقاليد و استحدثت أشكال و صور. [2]

1. انوكس ،النظريات الجمالية"كانط و هيجل و شوبنهاور" ،ص23.
2. ينظر:المرجع نفسه :ص(23-24-25).

المبحث الثاني: فلسفة الجمال عند العرب المسلمين.

يبدو جليا أن الإسلام حمل إلى العالم تصورات جديدة و مواقف مختلفة تماما عن العهود الأولى و أن الخطى التي رُسِمت في العصور الإسلامية كانت كلها تدعوا إلى بناء عالم جميل من السمو و الرقي و هذا ما عبَّر عنه النتاج الفني الغزير في الأدب الذي كان جديرا بأن يدل على ذلك ،ناهيك عن الموسيقى و الرسم و النحت و الزخرفة كلها تعد مظاهر متعلقة بالفن الذي كان للمسلمين منه وجهات نظر متعددة " بالرغم من أن الإسلام لم يعالج المسألة على نحو مستقل، ولم يفرد بابا مستقلا خاصا بها ولم يورد تفاصيل دقيقة تحدد موقفه بالضبط من مسائل الفن الكثيرة و مع ذلك فقد بدا أن الحدود العامة في الرسالة أصبحت بالتأكيد حدودا عامة للفنون الإسلامية و سقفا لا يمكن تجاوزه،إلا أن التطور التاريخي اللاحق حمل أكثر من موقف إسلامي واحد من مسألة الفن ".[1]

إن من يمعن النظر في النص السابق يجده يشير إلى نقطة فكرية مهمة تتعلق بالأدب الإسلامي فهناك نقاط تشابه بين الحدود العامة للرسالة و بين الحدود العامة للفنون الإسلامية ،فالحدود التي حكمت التفكير الجمالي الإسلامي هي التي دلت بوضوح على الوظيفة السامية لأدب التشريع الذي التزم مبدئيا بالتصور الإسلامي للكون و عدم جواز استبداله أو استبقاء بعضه و حذف بعضه الآخر،لأنه رسم خطا فاصلا بين الثقافة الإسلامية و الثقافات الجاهلية الوثنية التي سبقت الإسلام ،فحين يسقط الإسلام ديانات مكة فهو مجبر أن يسقط الآن تلك الأنصاب و التماثيل التي كانت جزءا جوهريا في تلك الديانات فلم يكن ممكنا اعتبار أن لتلك الأنصاب و التماثيل قيمة فنية و جمالية مستقلة لذلك بدا لزاما حذف تلك المظاهر الفنية مع غيرها من المظاهر الجاهلية المنتشرة في حواضر الجزيرة ،فالمجتمع الإسلامي قام على جملة من الأهداف ،لذلك وجب الجهاد و تحرير الناس،و وجب الحكم بين الناس و العدل و قيام الحكومة الإسلامية و هكذا تلتزم الثقافة و الفن بتيسير بلوغ ذلك المجتمع ".

1- **المرجع السابق: ص24.**

و الدفاع عنه و عن أهدافه رغم محدودية الدور الذي مثله الفن الإسلامي باستثناء الشعر في مطلع الدعوة لكن هذا الدور تعاظم بإطراد بعيد ذلك و ليتحول مع استقرار الأمور في أوساط القرن الثاني إلى أداة هامة رسمية في الدفاع عن المجتمع الإسلامي في مقارعة المجتمعات الأخرى و الثقافات الأخرى.[1]

في إطار هذه المبادئ التي حكمت مسار الفنون الإسلامية يمكن فهم الموقف الإسلامي من الفن "فلم يكن موقفا مطلقا بل هو موقف جدلي مرن،ينظر إلى الفنون من زاوية الوظيفة التي تؤديها و مدى النفع الذي تسديه للإنسان في طريق بلوغ أهدافه الروحية و الاجتماعية فليس هناك من فن لأجل الفن إذا ليس هناك من سمات شكلية أو نواحي تعبيرية لها قيمة مستقلة بمعزل عن المضمون المرتبط حكما بأفق أخلاق محددة للموقف الإسلامي المرن . "[2]

يمكن القول أن كل الإسهامات العربية الإسلامية مثلت بوضوح مناخا جديدا يعكس صورا لحضارة تلك الأمة بما في ذلك الجانب الروحي الذي يعتبر الفن جزءا كبيراً منه،فبالرغم من أن الإسلام لم يعالج مسألة الفن معالجة بحتة و مستقلة بذاتها ،فلم يكن للعرب نظرية في علم الجمال بالرغم من اهتمام الفلاسفة و الأدباء و النقاد المسلمين ببعض الأعمال الفنية كالشعر مثلا " فإن مبحث علم الجمال لم يستأثر باهتمام الفلاسفة العرب بقدر ما استأثر بهم مبحث الفن ،لقد كتب هؤلاء الفلاسفة في نظريات بعض الفنـــون كالـــــشعر و الموسيقى أشياء كثيرة أضافوا فيها إلى نظرية المحاكاة إضافات مهمة ،إلا أنهم لم ينصرفوا إلى نظرية الجمال عند العرب".[3]

ما يمكن أن نشير إليه في خضم هذه المناقشة أن مفهوم الجمال لم يتبلور في نظرية عند العرب ولم يتخذ أبعادا حقيقية ،فقد ظل مفهوما بسيطا غير أن ما بذلوه من كدٍّ في الشعر و موسيقاه يستـــحق الإعـجاب و التقدير.

1. ينظر :انوكس ،النظريات الجمالية"كانط و هيجل و شوبنهاور" ،ص25.
2. المرجع نفسه :ص26.
3. كريب رمضان،فلسفة الجمال في النقد الأدبي،مصطفى ناصف نموذجا ،ص56.

لا بد أن نشير إلى أن فلسفة الجمال عند مفكري الإسلام " تتلخص في كونهم فرضوا لإدراك الجمال تفاعل الحواس مع العقل و القلب وأقاموا قانونا عاما في الفن و الجمال ،لذلك جاء نتاجهم الوافر في الأدب أكثر منه في الموسيقى و الرسم و النحت،وحل الزخرف الذي يوحي بالتناغم الشكلي محل الانطباع الذاتي ،نظـــرا إلى موقف الدين من تجسيد الحيوانات خشية الوقوع في الوثنية"[1].

لقد كان الإدراك الأولى للجمال عند العرب يتم عن طريق الحواس فالغزالي"يؤكد على تفاعل الحواس مع القلب و العقل بقوله: يدرك الجمال الحسي و البصر و السمع و سائر الحواس أما الجمال الأسمى فيدرك بالعقل و القلب ،أما إذا كان الجمال يتناسب مع الخِلقة وصفاء اللون فإنه يدرك بحاسة البصر، وان كان الجمال بالجلال والعظمة وعلو المرتبة و حسن الصفات و الأخلاق و إدارة الخيرات لكافة الخلق و إفاضتها عليهم على الدوام فيدرك بحاسة القلب" [2].

انطلاقا من التوصيف السابق لا بد أن ندرك بوضوح أن الجمال إذا ارتقى و جـلَّ و شـــرف يـدرك عن طريق القلب و العقل ،لهذا يرى الدكتور أبو الحسن الندوي أن"الجمال مادة و عقل و روح و إحســـــاس و شعور و عقل و وجدان ،فإذا التقى فلاسفة الجمال في بعض الجوانب أو العناصر ،فستضلُّ هناك في عالم الجمال مناطق يعجز الفكر الفلسفي عن إدراك كُنهِها و الوصول إلى أبعادها ،فليس العقل وحده هو القوة القادرة على استكناه كل أسرار الوجود و ما خُفي فيه و لحكمة يقول الله في كتابه العزيز "**فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَ لَكِنْ تَعْمَى القُلُوبُ الَّتِي فِي الُّصدُورْ** " الآية (46) سورة الحج " [3]

1. **المرجع السابق:ص57.**
2. **المرجع نفسه :ص57.**
3. **أبو الحسن على الندوي،الأدب الإسلامي وصلته بالحياة:ص87.**

إذا واصلنا استعراض أراء فلاسفة المسلمين فنجد تصور الفارابي للجمال من التعـــريف الوارد في قوله:"إن الجمال و البهاء و الزينة في كل موجود هو أن يوجد وجوده الأفضل ،ويبلغ استكماله الأخير ،و إذا كان الأول وجوده أفضل الوجود ،فجماله إذن فائت لجمال كل ذي جمال و كذلك زينته و بهاؤه و جماله بجوهره و ذاته ،وذلك في نفسه ،وبما يعقله من ذاته".[1]

يتضح لنا من خلال النص أن الموجود الأول هو الله و جماله فوق كل جمال و هكذا تكون إطلالة الفلاسفة على الجمال تنطلق من منظور ديني مثلما كان كذلك موقف الإسلام من الفن يتمخض من مبادئ دينية وضوابط تحكمه مساره فنجد على سبيل المثال موقف إسلاميا متشدد من مسألتي الرسم و التجسيم التي قد تُسقط المسلمين في براثن الجاهلية المعروفة بعباده تلك الأنصاب و التماثيل المجسدة،أما عن أهم الضوابط التي شكلت سقفا عاما للفنون الإسلامية فقد نذكر منها الإعراض عن كل ما يبعد المؤمن و يصرفه عن واجبه الديني ،أضف إلى ذلك كراهية تصوير الكائنات الحية وبخاصة الوجه الإنسـاني و الانصـــراف عن الترف المجرد و بخاصة في عمارة المسجد ،فقد خسر الفن الإسلامي بلا شك كثير من جراء موقفه المتشدد من مسألتي التصوير و التجسيد لكن الذي خسره الفن جرى تعويضه في الكثير من الفنون الأخرى خاصة الشعر و في الفنون النثرية و في الموسيقى و الزخرفة و في العمارة ،فما خسره المسلمون من عمق مادي استعاضوا بعمق آخر و هو العمق الروحي الوجداني وليس أدلَّ ذلك على ما نقوله عن منمات العمارة العربية و لوحات زخارفها و في تزويق الأعمدة و هندستها حيث حافظ المسلم المعماري على حقه قـــواعد الهندسـة و على جلال المبنى.[2]

1. الفارابي،كتاب السياسة،تحقيق نجار،المطبعة الكاثوليكية،بيروت،1964 ،ص46.
2. ينظر:انوكس ،النظريات الجمالية"كانط و هيجل و شوبنهاور" ،ص28.

يمكننا القول إلى حد بعيد أن الفنون الإسلامية كان مرتبطا ارتباطا وثيقا مع المضمون الروحي الذي يقترحه الإسلام و بين أشكاله التاريخية "فهذا الارتباط هو تيار معروف في التفكير الجمالي و النقد الفني له مدراسه و ممثلوه في الإسلام كما في غيره من مناحي الفكر و في هذا الإطار النظري العام نشأ كثير من الإسهام العربي الإسلامي الجمالي في شكليه النظري و النقدي فبرزت أسماء لامعة مثل ابن قتيبة و قدامه بن جعفر و عبد القاهر الجرجاني و أبو نصر الفارابي و ابن سينا وقد بدا في أعمال هؤلاء باستثناء ابن قتيبة ،فقد كان أثر الإغريق واضح في تمرسهم بأدوات المنطق و بفهم الإغريق للشعر و بخاصة "**أرسطو**" الذي يعتبر الفن محاكاة و الشعر صناعة لها قوانينها و في الخط الفاصل الذي يميز شعر العرب من شعر الإغريق ،فهذه العناصر جميعها تعكس الواقع الثقافي الجديد الذي فرض نفسه مع بداية المائة الثالثة للإسلام و الذي حمل بدوره مناخا جديدا بحاجات جديدة و أحكام جمالية جديدة".[1]

1. **المرجع السابق:ص29.**

الفصل الثالث

المبحث الثاني:تطبيقي–البعد الديني في كتابات الشاعر"محمد مصطفى الغماري".

إنّ التجربة الشعرية هي التي تنطوي على أبعاد إنسانية والشعر الراقي الباقي هو الذي يخترق الشعر الحدث فيحوله إلى رمز وقد يتراكم في النص إلى حدّ يجعل من القصيدة رمزا كليا لتجربة المعاناة والثورة في ظل مأساة الانحطاط التي تتحوّل إلى أداة فنية تجعل الشعر يبتعد من الوصف المباشر والخطابية التقريرية الممقوتة ويحرره من الانفعالات المهموسة والأفكار المجردة، ولا يعتمد الشعر على الموضوع أو الفكرة العقلية فقط، بل ينهض على التجربة والتصوير المجازي التخييلي،المشحون بطاقة إيحائية تمثيلية،فالصورة عنصر بنائي هام في القصيدة تخرجنا من زاوية الطرفين المشبه أو المشبه به إلى أطراف ثلاثية أو رباعية أو أكثر وتعدد الحدود الضيقة في المقابلة بين لفظين في بيت واحد إلى حدود واسعة في المقابلة بين صورتين في مقطع أو قصيدة،فالصورة إذن هي للأداة الفنية الأكثر قدرة على التأثير والإحياء والتمثيل[1].

لا يعتمد الشعر على الموضوع أو الفكرة بقدر ما ينهض بإمكانات التطور والقدرة على توظيف الوسائل الفنية التي ذكرها الدكتور إبراهيم رماني في النص السابق من تصوير وتمثيل وإيحاء وتأثير وممّا لا شك فيه أنّ"الشاعر مصطفى الغماري"تمكن من ذلك خلال تجربته الشعرية التي كانت حبلى بمختلف الأبعاد الفكرية فقد جعلت منه شاعرا ثائرا يعبر عن إحساسه الصادق نحو أمته ووطنه وقد ارتسمت واتضحت فيه ملامح الشاعر العربي«الذي أبدع وشكل نهضة شعرية قامت على ثقافة تمتد إلى الأصول وإلى قرون كاملة يجب على الشاعر أن يتمثلها أحسن تمثيل في كتاباته وفي هذا يقول نزار القباني:"أشعر بأنّ عشرة آلاف شاعر يكتبونها معي،من طرفة والحطيئة إلى أبي تمام والمتنبي وشوقي"»[2].

[1] ينظر:إبراهيم رماني،إضاءات في الأدب والثقافة والإيديولوجية،دار الحكمة الجزائر،2009،ص138.
[2] المرجع نفسه،ص198.

لا بد أن أطرق أبواب الذاكرة من جديد،لكي أذكر بأنّ الشاعر كان رافعا صوته بمبدئه،وقد كان بصدد مواقف معينة وثابتة يرأسها مبدأ واضح وهو "الإسلام"فهذه القوة وهذا التأثير إنما يستمد من روح ذلك«لقد صرخ"الغماري"بشدة في وجه أولئك المرتدين فيوخز ضمائرهم ويحرك فيهم شعور اللوم والتأنيب من خلال موقفه وثقته الكاملة وغيره هم الذين على خطأ وقد نلاحظ الشجاعة والصراحة في أرائه ومواقفه لأنه قوي بمبدئه جريء بإيمانه ذو روح متعالية فهو يحتقر خصومه لجبنهم وهو يحبذ فضحهم وفضح مقاصدهم وتآمراتهم الحقيرة أولئك المنحرفون العابثون بقيم الدين الإسلامي»[1].

دواوين الشاعر طافحة بمثل هذه المواقف والآراء التي تكتسيها فنيات رائعة من إيحاءات وحركيات حيوية«تجعل من الصوت تمثيلا معبرا متدفقا بالمعاني جياشا بالمشاعر وهذه الفنيات التي كثيرا ما يكون اللفظ فيها شحنة عاطفية وطاقة وجدانية يفجرها الشاعر وفق تجربته النفسية وموقفه الفكري والفني وهذه الطاقات الوجدانية التي كثيرا ما يتعانق فيها اللفظ بالمعنى دونما واسطة تقوم بينهما»[2].

لقد آثرت في هذا المبحث التطبيقي على أن أختار جملة من القصائد أو بالأحرى زمرة من الجزئيات المتنوعة لدواوين الشاعر والتي اتضح فيها بجلاء البعد الديني لهذا الشاعر الإسلامي،وقد برز ذلك في«معجم واقعي موضوعي،يستهدف موضعة الذات والابتعاد عن تخومها الضيقة،بالولوج في عالم الواقع الفسيح،والتقاط جزئياتها وعكسها على المساحة المعجمية للخطاب الشعري الذي ساد خلال الثمانيات في صورة جديدة يمكن تسميتها "بالواقعية الإسلامية"التي كانت قد ظهرت ملامحها في قصائد "محمد ناصر"ومصطفى الغماري" لتتبلور فيما بعد عند الكثير من الشعراء وقد تجسدت في ألفاظ من قبيل الجهاد

[1] يحياوي الطاهر،البعد الفكري والفني عند الشاعر"مصطفى الغماري"ص31.
[2] المرجع نفسه،ص62.

(خضراء،القرآن،أفغان،السيف،والصلاة)مسايرة لملامح الصحوة الإسلامية التي بدأت في البروز مع مطلع الثمانينيات»[1].

يحاول "الدكتور يوسف وغليسي" أن يضع جدولا يوضح فيه تواتر بعض الوحدات المعجمية للواقعية الإسلامية في بعض دواوين الشعر الجزائري المعاصر.

الوحدات المعجمية / الديوان	الإسلام	الله	الرسول محمد أحمد	السيف	الجهاد	خضراء	الإيمان	القرآن	
وشم على زند قرشي(عيسى لحيلح)	07	77		02	01	02	04	02	
أغنيات النخيل(محمد ناصر)	06	24		03	05	04	02	12	
"عرس في مأتم الحجاج "مصطفى الغماري"	14	06		07	18	08	01	02	

2

[1] يوسف وغليس،في ظلال النصوص،تأملات نقدية في كتابات جزائرية،جسور للنشر والتوزيع،ط1، 2009م،ص16

[2] المرجع نفسه،ص18.

لا بد أن نشير بأنّ كل تجربة أدبية لها سياق إبداعي يحتضنها وتترعرع في ظله فقد كان "مصطفى الغماري" من شباب الجيل الذي يحاول أن يفرض وجوده على المسرح الأدبي في الجزائر«وجدته الثورة ابن ست سنوات ولم تكد تنتهي حتى وصل مرحلة المراهقة،ومن ثمة عاش الثورة طفلا وصبيا بكل رعبها ووحشيتها وبكل أمالها ووعودها وكان مسقط رأسه بالذات يعيش نمطين من الحياة يبدوان متناقضين فمن جهة هناك تقشف إلى درجة الفقر وزهد إلى درجة التصوف ومن جهة أخرى هناك ثورة على الظلم وطموح إلى الحياة أفضل فكان شعر الغماري يمثل هذين النمطين وقد كان التعليم الذي تلقاه قبل الجامعة تعليما دينيا يزيد في تعميق نمط الحياة الأولى،فوائده كان يعلمه القرآن ومأثورة الحكمة والزهد وزاوية بلعموري التي اختلف إليها كانت تزوده بمبادئ الإسلام وتعاليمه وكان حظه من ذلك بالمعهد الإسلامي بالعاصمة أكثر وأعمق،فهناك مناقب السلف والإلحاح على السلفية وحتى عندما حصل على منحة للدراسة في ليبيا كان تعليمه يخدم نفس هذا الاتجاه الذي لم يستطع أن يتحرر من ربقته حتى بعد أن دخل إلى كلية الآداب بجامعة الجزائر ويمكن القول أنه ظل معه حتى بعد تخرجه منها فهو ما يزال موحدا مؤمنا إلى ربه حتى في أحلك لحظات يأسه.

ولو لمْ يَكُنْ يا ربُ فِيكَ تَوَحُدِي وفِيكَ ابتهالاتي ومنكَ الرِّضَى الحَاني

لأحرَقْتُ من سفرِ الحيَاةِ صَحَائِفي وأسْدَلْتُ عَنْ فصْلي ستائر تنعانِي

ولكنَّنِي في ظِلِّ نجْواكَ أرْتجِي وأَسْرُجُ في لُقْياك أفْراسُ إيمَانِي[1].

إلى جانب هذه العوامل التي شكلت اتجاهه الثابت نجد أن لغته السليمة وقدرته على امتلاك مرجعية أدبية ثقافية وولوعه بفن العربية كل هذا ساهم في تبلور موهبته الشعرية الزاخرة.«فالغماري شاعر موهوب

[1] ينظر:أبو القاسم سعد الله،تجارب في الأدب والرحلة،المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر،1983،ص149.

يصدر في قصائده عن طبع لا تطبع،بل هو مسكون بعشق الغناء الشعري،مسيطر إلى حد محمود على أدواته اللغوية والفنية لا ينافس في قدرته إلا قلة قليلة من شعراء الشباب في الجزائر ويكفي أنه يكاد أن يكون نسيج وحده في سلامة اللغة وصحة العروض فلا نعثر في شعره التقليدي والجديد معا على أخطاء في النسيج اللغوي والموسيقي ممّا يرجع إلى استيعاب تراثنا الأدبي ولاسيما مأثوراته الشعرية وإحاطته بالقواعد البنيوية اللغوية إحاطة مكنته من التميز ضمن شعراء جيله»[1].

من المبادئ العظمى التي هتفت بها أشواق الشاعر وتغنى بها كثيرا في قصائده نجد حب العقيدة الإسلامية التي كانت«لدى الغماري مرضاه ومبتغاه ونضاله وجهاده وثورته الخضراء ولم تكن موقفا شعريا أو فكريا،فحسب.

شَرَفِي على هامِ العُروبَةِ تَشْرَئِبُّ لهُ البنودُ

شرفُ العَقيدةِ ثورةٌ خضراءُ تحرِسُها الزنودُ

شرفُ العَقِيدةِ فارسٌ... في جُرْحِهِ انتَفَضَتْ عهودٌ[2]

وهكذا يتضح البعد الإسلامي الرائد على لسان شاعر فذ...يقول ويريد أن يفعل يريد أن تكون العقيدة الإسلامية راية خضراء تحرسها الزنود وتحميها السيوف،إنها الحركة الواعية نحو مستقبل أشرف وأفضل وأنبل،نعم إن العقيدة الإسلامية لدى"الغماري"وعي نابض بالواقع،متوثب نحو الانتصار ...الانتصار الذي يهدف إلى المجد والخلود ويهدف إلى البناء الحضاري والمثل الإنسانية الخالدة،وهذه الحركة الإيجابية نحو

[1] حسين فتح الباب،شعر الشباب في الجزائر بين الواقع والآفاق،ص202.

[2] المرجع نفسه،ص203.

الإنسان والمكان والزمان،تنبثق من روح شاعرهم،امتزجت دقائق نفسه الكريمة بروح العقيدة العظيمة فشرف العقيدة ليس تهويمات طقوسية وإنما.

شَرَفُ العقيدةِ سَاعِدٌ للفجْرِ وثَبْتُهُ شَدِيدٌ

شَلاّلُ إيمانٍ يَهِيمُ عَلَى حَنَاياهُ الخلُودُ[1].

إعجاب الشاعر بالعقيدة وتمسكه بها واضح جدا في ثنايا أشعاره فهو يرى بأنها الفجر الواحد لأمته العربية.وتعلقه بها ضارب في أعماق نفسه حتى أنه يصفها بالشلال الغزير الذي لا ينضب معينه أبدا عبر جميع العصور فلفظتي الشلال والفجر كلاهما ينوهان بالاستعداد للحياة الطيبة والمزهرة وقد واصل "الدكتور الطاهر يحياوي" في تحليله لهذه الأبيات فيقول:«أنّ الشاعر يدرك تمام الإدراك،أنه يعيش أحداث القرن العشرين ومتناقضاته،فحدد موقفه دونما تردد أو تشكك فأوقف جهاده على الإسلام واستمات في الدفاع عنه...وبذلك صارت العقيدة الإسلامية حياة متكاملة زاخرة في شعره...حياة ممتدة الأبعاد في كونه الفني والنفسي،متغلغلة في روحه ووعيه،ولهذا صارت أملا مشتاقا يريده أن يختصر المدى إنها حلم جميل يود لو يراه واقعا.

أنا في صبَاحِكَ يا دُرُوبَ رؤى تَفِيضُ رَبيعَ بِشْرِ

أنا صَيْحَةُ النارِ تَنْثَالُ أمْواجاً بِصَدْرِي

أشْتاقُها خضْراءُ...تخْتَصِرُ المدَى فيَثُور سِرِّي

مطر على ضمَا الدّرُوبِ السَّمَرِ في الألمِ الأمرِ

[1] يحيا الطاهر،البعد الفكري والفني للشاعر مصطفى الغماري،ص63.

يشْتاقُني فأضمَهُ...وتضمنا أعمَاق جُمَرِ[1].

تمثل هذه الجزئية المختارة حنينا مضمورا داخل الأسى والتحصر والاشتياق مضني في نفس الوقت لغياب العقيدة في زمننا وهو يعبر عن ذلك بلفظة الربيع دلالة عن الإسلام وبلفظة النار دلالة على غيابه كذلك نجد مطر ثم الظمأ،أعماق الجمر كلها دلالات متضادة تعبر عن نفس متأثرة جدا بهول ما آلت إليه الأمة العربية بالرغم من استخدامه لرموز واضحة (كالربيع،الخضراء.النار.الألم،المطر)إلا أن ذات الشاعر تظل هي المحور الرئسي في قوله أنا في صباحك،أنا صيحة،يشتاقني فأضمه.وهكذا نجد أن العقيدة لدى"الغماري"هي الماضي بعزه ومجده والحاضر بشوقه وتطلعه والآتي بحلمه وانتظاره لا ريب أن الشاعر تتخذ ذاته بعقيدته وكونه بحياته يرتبط أشد الارتباط بموقفه بمبدئه ويتوقع كل يوم عودة "الخضر"و"الخضراء"[2].

إنّ العقيدة كما ذكرت سابقا بالنسبة للشاعر ليست مبدأ وصلاة وزكاة ومدح وابتهالات لله ورسوله فحسب،بل هي أفعال تجسد على أرض الواقع والتزامات تجعل الذات والعقيدة يتحدان ويشكلان عالما كله طمأنينة متمخضة من روح الإيمان الذي يرمي إلى الحب والخير والسعادة في الحياة وقد كانت جل قصائد"مصطفى الغماري"طافحة بهذه الاشراقات وامتزجت مع ذلك بتذمر شديد لهذا الحلم الذي لم يدس أرض الواقع.

وقد يقول شاعرنا في هذه الرائعة التي ينشد من خلالها حلم العقيدة الإسلامية وحلمه الذي يراوده دوما في المَاضي والحَاضِر والمسْتقبلُ.

سلم دم ...وخواطر أشتات

[1] المرجع نفسه،ص64.

[2] المرجع السابق،ص64.

وهوى على جمر المدى يقتاتُ.

ورؤى تلوب جريحة ...أعماقها

مصلوبة في جرحها الكلمات

مقهورة...يا فجر سافر في دمي

يبْسُتُ بشريان الحنين صلاة

وأرعد على الأيام رمز عقيدة

في بعدها...تتعانق الروايات

التي أراك على الزمان قصيدة

تخضر–حين أقولها–الأبيات.

تنساب في شدو اللقاء خضيلة.

فتميد عبر لقاءنا الآيات

خضراء تورق في الدروب سحابة

من فيضها تهب الورود فلاة

قدسية الأبعاد تركض في دمي

سفرا...فتزهو بالقصيدة لهاة[1].

كثيرا ما تغمر الشاعر كآبة حزينة،ناتجة عن الوعي الشديد بواقع الحياة،كآبة نفس عاشقة متلهفة ترى الفارق بينها وبين ما تروم بعيدا في قوله"أني أراك على الزمان قصيدة،تنساب في شدو القاء خضيلة إلى

[1] المرجع السابق،ص65.

غيرها من الأبيات التي تدل على هذا الفارق بين واقع حاضر وحلم جميل،حلم العقيدة الخضراء حيث تتفجر حياة فياضة بالحب والأمان والخير والعدالة.

نواصل مع مقتطفات من ديوان قصائد مجاهدة للشاعر مصطفى الغماري وهو يتغن من خلالها بفضائل وصفات رسولنا الكريم.

إليك يا رسول الله.

غنَّى ربِيعُ الهَوَى القُدُسيُّ وابتسَمَا

يَا مولدَ كان في دُنيَا الوَرَى عِلمًا

وقامت الأرضُ من وَجْدِ...جَدَائِلُها

فَرْحَى...تُعَانِقُ مِيلادَ الهَوى شَمَمًا

يُزهر الضَّوءُ في الوَادي حَمَائِمه

غنَّتْ سَلَامًا...فَوَلَى الشِّركُ مُنْهَزِمًا.

يا موقظ الأنْفُسِ الحيْرَى مَسَافَتُها

فَكُنْتَ في دَرْبِنَا نَارا تُزِيلُ ظمى

وكنت يا خير مولودٍ...وخير أبٍ

بُشْرَى السَّمَاء بِكَونِ وقَدْ أَراقَ دما.

يا موقِظ الشَّمس...لولا الحبّ ما ازدهرت

أرض...ولا جلجل الميدان والتحما[1].

أول ما نلاحظ في هذه القصيدة هو الإعجاب الشديد برسول الله عليه الصلاة والسلام، ووصفه بالربيع الذي يبتسم بجماله، وخضرته. وخيراته وهذا وصف حقيق لرسولنا الكريم،ثم يواصل في ذلك بقوله(يزهو الضوء،يا موقظ النفس الحيرى نارا تزيل الظما،خير مولود،خير أبٍ)كلها ألفاظ لها دلالات تحتوي المعنى وتكشف عن صدق التجربة النفسية للشاعر وهو يشبه الرسول بالنور الذي يستضاء به الكون وتزهو به الأرجاء بعد معاناة شديدة من ظلمات الجهل.

فعندما تتأمل القصيدة تشعر وأنك تقرأ لأحد الشعراء القدامى في مدحهم لرسول الله أولئك الذين تمكنوا من رفع التعبير إلى مستوى المضمون وهذا يدل على قدرة الشاعر في مواكبة تجاربه النفسية ولهذا تشكلت الصورة الشعرية الغمارية«وهي صورة واعية بموقعها الفني متلائمة مع بقية الدلالات الأخرى تسير نحو غاية مقصودة هادفة فليست بالغامضة الموغلة في الضبابية فهي تعبير أدق وتمثيل هادف واضح،فتوحدت الألفاظ لرسم صور جزئية هي في طريقها إلى صور متكاملة»[2].

إنها لفرصة سعيدة ونحن نستمر في التجوال في بستان هذه القصائد المتألقة للشاعر،ونتفيؤ في ظلالها الطيبة ونحن ندرك تماما وتنتابنا،حسرة شديدة عن الأسباب التي جعلت هذا الأديب مغمورا في زمن لا نستطيع أن نظفر بمثل الشاعر"مصطفى الغماري"طفلا كان أو شابا أو كهلا.لكن عموما الموقف لا يستدعي الحيرة والغبن، لأننا عهدنا وأصبحت لدينا قناعة بأن صوت الحق دائما يحجب عن الضوء من

[1] مصطفى محمد الغماري،قصائد مجاهدة الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر،32،31،30،29،1982 على التوالي

[2] الطاهر يحياوي،البعد الفني والفكري عند الشاعر"مصطفى الغماري"ص95.

الطبيعة الغمارية أننا نلمح دائما مواقف ثابتة واشتياق عظيم إلى المثل العليا والقيم الخالدة وحب جلي لرسالة عظيمة وهي"الإسلام"وهذا ما لوحظ في أغنية سائرة إلى مسيرة الرفض.

الشعب وحّد دَرْبَهُ فَلْتُصْلَبُ الأهواءُ

والشَّعْبُ قال مُجَلْجلاً فَلْيَخْرُسُ الجبناءُ

عقِيدةٌ من ضَوْئِها تتَنَفسُ الأضواءُ

يَمْتَدُ من دَمِهِ أبو ذر ومن يدهِ الوفاء

ومحمدٌ ملأ المدى والملة السمحاء

يا قمة الشهداء فاشهد يا نوفمبر...كيف شاؤوا[1].

يستمر الشاعر دائما في بث جملة من الألفاظ التي تؤكد مدى تعلقه بالعقيدة السمحاء وحبّه لرسول الله وذكره كلما ذكر الشهيد سواء تعلق الأمر بالوطن أو بالأمة العربية أو بالشهداء،فالعقيدة عند الغماري دائما تسجل حضورها والضوء والوفاء.والشهداء كلها ألفاظ لقاموس واحد يعرف به الغماري«فالقصيدة تعكس انتفاضة عارمة محتدمة تتجاوب فيها الأجراس الموسيقية تجاوبا،فالتركيبة الغمارية ذات خصائص متعددة تغلب عليها جميعا خاصية التوتر والانفعال الحاد وإن كانت تتلون بألوان التجربة النفسية،مما يؤكد معايشة الشاعر لتجاربه النفسية من جهة ويقظته الشعورية أثناء العملية الشعرية من جهة أخرى وهذا إنّ دلّ على شيء إنّما يدل على التناسبية بين الشكل والمضمون وهذا ما أسفر عن موهبة شعرية فذة مستكملة الأدوات تتجاوب وأبعاد الكلمة باعتبارها موقفا وقضية»[2].

[1] مصطفى الغماري،قصائد مجاهدة،ص131،ص132.

[2] الطاهر يحياوي،البعد الفني والفكري للشاعر مصطفى الغماري،ص86.

يستمر الغماري في موقفه غير متحول،ملتزم بخط الدفاع عن قضايا أمته متجدرا في انتمائه متأصلا عن أولئك الشهداء الذين يظلون أعظم البشر وأكرم الناس فديوان قصائد منتفضة تمثل موقفا آخر للمبدع الذي احتضن فلسطين كقضية لا تقبل التجزيء واهتز لانتفاضة الأقصى التي عادت النضال الفلسطيني إلى طريق التحرير وانتصب شموخا لأولئك الرجال والنساء والأطفال،فالقصيدة الموالية أو الجزئية المختارة من هذا الديوان يقدمها الشاعر مصطفى الغماري إلى الشهيد الشاعر"عز الدين" المصري الذي ما عبد الله بمثل ما عبده فهنيئا لك الشهادة.

حطم القيد:

حطم القيدَ قد حطمْتَ قيودي

ما بغير الجهاد يخْضرّ عودي

أي ذكرى أغلى إذا قيل يا ذكرى

شهيد ويا حضور شهيد؟

رُبَّ فنٍّ أهْوى على زبدِ الأرضِ

وآوى إلى الضياع المديد

لسْتَ مني إذا توضأت بالوهم

وصَليتَ للوجوه السود

يا زمان الشهيد يا موسم النار

ويا أية الدّم المشهودِ

لغة الأنبياءِ ما أتْرف المغنى

بلفظ مُرَصعٍ منضودِ

قد تطولُ الأعمارُ وهي قصارُ

بمعاني التسليم والتوحيد

أيُّ دينٍ لمن تهودَ أدْناهُم

ونمتْ عيونهم لليهودِ[1].

المحور الأساسي لهذه القصيدة هو التغني والثناء على الشهداء فنجد فيها الشاعر ثائرا ووحيدا ومعجبا وحزينا على هذه الأرواح الطاهرة ومشجعا للشهادة (ما بغير الجهاد يخضر عودي)وقد أكثر من الألفاظ التي تندرج ضمن معجم الواقعية الإسلامية(توضأت،صليت،آية الأنبياء،التسليم،التوحيد،الدين)

ونحن نجده مع ذلك يثور أكثر مما يتألم،يثور لليهود،ويندد بمن يتبع ملتهم ويستسلم لهم وهذا من أهم الأبعاد التي كان يرمي إليها الشاعر في قصائده،فالمتأمل للقصيدة يدرك تطورا لوظيفة الشعر حيث يعبر الشاعر عن متغيرات تلازم البيئة وأمور تحدث في حياة الشعب الذي ينتمي إليه وهذا إن دلّ على شيء إنما يدل على أنّ "مصطفى الغماري"واحد من الشعراء الذين استجابوا لعصرهم وبيئتهم وأوجدوا مضامين جدية وألفوا في موضوعات كثيرة متنوعة وحاولوا أيضا أن يسايروا التطور في العالم العربي ولا شك أنّ هذا كان استجابة لظروف خاصة تمس الأمة العربية خاصة القضية الفلسطينية التي كانت مصدر إلهام الكثير من الشعراء العرب،وهذه الحركة التي اتسمت بالتجديد وقد ارتبطت بالدين الذي من شأنه أن يساهم في

[1] محمد مصطفى الغماري،قصائد منتفضة،أسرار من كتاب النار،منشورات اتحاد الكتاب الجزائريين،ط01،2001،دار هومة،ص148،149.

النهضة الأدبية،فكان لا بدّ أن يظهر مفهوم آخر للشعر يتماشى مع الفكر الإصلاحي وأن وظيفة الشعر هي الموعظة الحسنة وأنّ الشعراء الحقيقين هم الذين يقولون في الأغراض "الشريفة فلله در الشعر والشعراء المخلصين المتمسكين بعزة النفس الذائدين عن حياض الدين"[1].

دواوين الشاعر تنماز بفنيات رائعة من صور شعرية وايحاءات يتجلى فيها البعد الإسلامي وقيمه العليا،فالكلمة لدى "مصطفى الغماري"نجدها تتعدى العلاقة اللغوية والذهنية إلى موقف فكري يبرزه اتفاق اللفظ والمعنى دون واسطة تقوم بينهما،وهذا ما احتضنته هذه الجزئية المنتقاة من ديوان"أغنيات الورد والنار وقد عنونت:

بالوعد الحق.

حُلْمِي على هضَبَاتِ وَعْدِكَ

والوَجْدُ في ظُلُمَاتِ العُيونِ تَألقَ

وأنا المُسَافِرُ وأنتَ مَدِينَتِي

خَضُرتْ...فرفرف ندى ووشوش زئبق

أنا في هواكَ مسافة ضوئية...

بقرآني...تمَور وتدفقٍ

أنا نقطةُ ...مِيلَاد حرف عاشقٍ

بهواك يخترقُ الضَّبابُ يشرقُ

وجها إلهي الملامح...مبحراً

[1] ينظر:عبد الله الركيبي،الشعر الديني الإصلاحي،دار الكتاب العربي،ج02، الجزائر،2009،ص79.

سَفَائِنُ الوجدِ المُقَدَّسِ يَسْبِقُ

لوْلَاكَ يا أُغْنيةَ الحلمِ الذي

أَنا في مسَافَةِ حُبِّه أتَعمَّقُ

وفي دَفْئِهِ الصُّوفِي عَايَنْتُ الهَوَى

وَرَأيتُ وجهكَ بِالمَواجِدِ يَعْبَقُ

يشتاقُهُ الفُقراءُ...أنتَ مَدَاهُم

لولاكَ يا شجرَ الضُّحى لمْ يعْشَقوا[1].

أول ما نلاحظه في بداية الأبيات هو النزوع الروحي إلى العالم الديني وهو عالم الطهر والصفاء والنور والحلم ولفظة المسافر تدل على انتقال من مكان إلى مكان آخر أو من حالة إلى أخرى فالهوى والقرآن والميلاد،الاشراق كلها تدل على مفارقات أخلاقية واجتماعية بينه وبين مجتمعه الذي نجد أغلب أفراده يحلمون بنعيم المادة وهذا يشير إلى التعلق الشديد بالعقيدة الإسلامية هذا التعلق المحاصر وهذا الشوق وهذا الحنين ينوه بحالة نفسية محاصرة في قوله بهواك يخترق الضباب ويشرق،وقد يتضح كذلك بأن صوفية هي ثورة وجهاد وهروب إلى وجه الله (وجها إلهي الملامح...مبحرا)

فالسفر بالنسبة إليه ليس سفر البحار والأزهار وإنما السفر إلى الله عز وجل معرفته حق المعرفة التي تعتبر بالنسبة إليه"أغنية الحلم"بدون قصوف كما يرى البعض"فالغماري ليس صوفيا شعرا وفكرا وعملا وإنما دخل ثائر رافض لقيم عصره...والتي لا تجري على وفاق مع ضميره ومنطلقاته الفكرية ومن هنا كانت ثورة الغماري مواجهة حادة وعنيفة،صلبة المواقف من اليهود والاشتراكين وجميع أعداء الإسلام،فاللجوء إلى

[1] محمد مصطفى الغماري،أغنيات الورد والنار،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر،1980،ص72 ،73، 74 على التوالي

العقيدة الإسلامية يمثل بالنسبة إليه ملاذا متسعا لروحه وفكره المحاصر فمنه يستمد قوته وغرضه ولا بد لكل ثائر من قاعدة يرتكز عليها تمكنه من أسباب القوة والعزم وعوامل النجاح وأهمها التبعية الروحية والفكرية»[1].

ما نلمحه دوما في مختلف قصائد الشاعر هو الدفاع عن الدعوة الإسلامية والتعلق الشديد بها وقد ألمحنا آنفا أنه شاعر موهوب قادر على التطور نحو أفاق فنية أرحب فقد استطاع أن ينمي الجوانب الوضيئة في شعره وأن يفسح صدره للرأي الآخر وأن يفيد مما بلغه شعر المقاومة في وطنه العربي وغيره من الأوطان من توظيف للفن في سبيل الحرية والعدالة الاجتماعية والإسهام بذلك في إبداع شعر ثوري معبر عن هموم الإنسان وتطلعاته إلى غد بلا اضطهاد ولا تعصب واستغلال محقق دور الفن في تعميق الوعي وتغيير الواقع الرديء الذي يعيشه عالمنا وأمتنا،ويجدر بنا أن نشير في هذا المقام أن"مصطفى الغماري"مثله مثل بعض الشعراء الشباب فيما يصيبه من آفة التراكم(الناجمة من صياغة تجربة وجدانية ذهنية واحدة في عديد من القصائد المتتابعة التي أنتجها خلال مدة قصيرة مما يجعل الشاعر أسير لنفس الفكرة ونفس الإحساس بل الصور والتراكيب اللغوية[2].

[1] الطاهر يحياوي،البعد الفكري والفني للشاعر مصطفى الغماري،ص141.

[2] ينظر:حسين فتح الباب،شعر الشباب في الجزائر،ص214، 223، 224 على التوالي.

الخاتمة

وهكذا يصل بنا الجدل إلى الختام في هذه المذكرة المتواضعة التي أسأل الله عز وجلّ أن تكون موفقة ولو بالقدر القليل وجليلة الفائدة للقارئ فرغم بساطة الأسلوب،والوقوع أحيانا في بعض المزالق المنهجية والتقصير في تأدية المعنى بشكل كلي،إلا أنَّ المتتبع لغمرة أحداثها يستطيع أن يعثر على نصوص معتبرة ومصادر قيمة قد تكون له سندا في مسيرته المعرفية والثقافية وقد أسفر هذا العمل على جملة من الخواتم الطيبة التي قد تكون بمثابة الزبدة المتمخضة من مجموعة الأفكار والتصورات المختلفة فبداية لابد أن أشير إلى أنّ:

1/القرآن الكريم هو مصدر كل عطاء ثقافي وفكري وحضاري به ترتقي الأمة العربية الإسلامية ويبنى ذوقها العام على هديه ومعانيه السامية فالأدب الإسلامي أدب حياة ومجتمع،يدعو إلى الأخلاق التي تعتبر الإنسان سيد المخلوقات على الإطلاق بما وهبه الله من عقل ووجدان.

2/الأدب الإسلامي بشعره ونثره يجعل من الأخلاق النبيلة قيمة أساسية من قيمه ويعطي الفنان حرية القول وصدق التعبير في نطاق القيم الإسلامية ويتصل اتصالا واضحا في أعماق النفس المسلمة التي يصدر عنها المشبعة بالقيم الإسلامية والمروءة والعروبة والفضائل الكريمة وهذا ما عثر عليه في أدبيات المسلمين في العصور الإسلامية الأولى،فقد كان للشعر دورٌ كبير في التعبير عن قوة الدولة الإسلامية وسيادتها في مختلف المعارك النفسية والحربية بما وهبه من حماس وإثارة شعور وإلقاء الرعب في نفوس المشركين،كما أدى دوره في المعارك العقلية بتغيرها إلى عقلية إسلامية تأمر بالمعروف وتنهي عن المنكر،فالشعر كانت له اليد الطولى في نشر الدعوة الإسلامية وتأكيد معانيها وإحراز النصر بالكلمة التي هي أشد وقعا من السلاح.

3/كان الرسول الكريم يقدر دور الشعر في نشر الإسلام،فكان يجعل من لسان حسان بن ثابت سيفا يرفعه في وجه أولئك المشركين قائلا:"أهجهم وروح القدس معك"ومع ذلك قد تكون معاداة الإسلام لشعر الدعوة باطلة فالرسول صلى الله عليه وسلم كان يحبذ سماع الشعر ويشجع عن الطيِّب منه وهكذا عاش الشعر مع الإسلام فكرا ودعوة ودولة ذات سيادة.

5/ما يجب أن نحيط به علما أنّ التصور الإسلامي له منهج فني خاص به وفلسفة الجمال كان لها حضورا قويا في كل الديانات المختلفة وقد حظيت بدراسات مستفيظة من قبل الأدباء والنقاد والفلاسفة على اختلاف مواطنهم وتشعب ثقافاتهم المختلفة،ففلسفة الجمال كتاريخ ونظرية قد بزغت من منابع غربية بدءً من اليونان ثم تطورت بعد ذلك في العصور الوسطى وامتدت إلى عصر النهضة،فهي تعنى بالإنسان وبعلاقته بنفسه وقد تجلت بوضوح في القرن الثامن عشر.

6/الثقافة الإسلامية كذلك كان لها باع طويل في هذه المسألة لأن الإسلام حمل إلى العالم تصورات جديدة تعبر عن ملامح الفن والجمال بصورة مختلفة وقد تجلى ذلك في كتاب الله عز وجل وسيرة نبيه المصطفى،لأن الإسلام كان متشدد في بعض المواقف ومعارضته لمسألة الرسم والتجسيم التي تعتبر خسارة جرى تعويضها في الكثير من الفنون وعلى رأسها"فن الشعر"

7/انطلق الأدب الجزائري منطلقا وطنيا قوميا وإسلاميا لتأكيد انتساب الجزائر إلى العروبة والإسلام ومقاسمتها المحنة والآلام مع شقيقاتها الدول العربية الإسلامية،فكان لهذا النتاج (الشعر) مواقف من حروب التحرير التي خاضتها الأمة العربية على امتداد رقعتها الجغرافية وخاصة الأقطار المغربية التي كانت تعاني من نفس المحنة وتتعرض لنفس البلاء الاستعماري.

8/تجربة الشعر المعاصر في الجزائر عبرت عن مواقف وأبعاد مختلفة وقد تعرفنا من خلالها على طائفة من الشعراء الموهوبين الذين يصدرون في قصائدهم عن طبع لا تطبع يعد الشاعر محمد مصطفى الغماري واحد من هؤلاء القلة القليلة من شعراء الشباب في الجزائر لأنه يملك إمكانات وافرة من التطور والقدرة على توظيف الوسائل الفنية الجديدة،فكانت جلّ قصائده أكثر تدفقا وتوهجا ونظارة التي جسدت عنده رمز الأصالة والمعاصرة،حيث تجلت كل الأبعاد الفنية والفكرية في تجربته الشعرية من خلال ما قدمه للمكتبة العربية،الشاعر "مصطفى محمد الغماري"قدّم نموذج الإنسان غير المتفرج على الأحداث،ومن الواضح أن الخط الذي انتهجه خط صعب في عصرنا الحاضر فالذين بقوا أوفياء للأفكار الوطنية والاتجاهات القومية هم قليلون،وفي خضم هذه التطورات التي شهدتها الأمة العربية نجده قد غمس قلمه في معظم القضايا المصيرية وهو حين يكتب عن هذه الأخيرة يجعلك تحس بأنه مواطن صالح لا ينطلق من نظرة حيادية غير أن غيرته على مصير الوطن والأمة ينبعث من حرصه على التراث من جهة والحداثة من جهة أخرى مضيئا بهذه التجربة الأدبية عتمة المتغيرات الدولية التي يجب على الجزائر أن لا تظل بمعزل عنها.

قائمة المصادر

والمراجع

القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.

قائمة المصادر والمراجع:

1. إبراهيم رماني،إضاءات في الأدب والثقافة والإيديو لوجية،دار الحكمة الجزائر،2009م.
2. أبو الحسن علي الندوي،الأدب الإسلامي وصلته بالحياة،مؤسسة الرسالة،1415ه/1985م.
3. أبو القاسم سعد الله،تجارب في الأدب والرحلة،المؤسسة الوطنية،للكتاب،الجزائر،1983م.
4. أحمد محمد عوين،مداخل الأدب العربي،دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر،ط01، 2014م.
5. إنوكس،النظريات الجمالية(كانط هيجل)،شوبنهاور،عرّبه وقدّمه،د.محمد شفيق،
6. توفيق الحكيم،أدب الحياة –مقالات–دار القصبة للنشر،دار الشروق،مصر–القاهرة،2012م.
7. ثريا عبد الفتاح،القيم الروحية في الشعر العربي،قديمه وحديثه،دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر،دط،دت.
8. جرجي زيدان،تاريخ أدب اللغة العربية ، موفم للنشر،الجزائر،ج01، 2007م.
9. حسين فتح الباب شعر الشباب في الجزائر بين الواقع والأفاق،المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر،1987.
10. حنا الفاخوري،في تاريخ الأدب العربي (الأدب القديم)دار الجيل بيروت،دط،دت.
11. سامي يوسف أبو زيد،الأدب الإسلامي والأموي،دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة،عمان،ط01 2012م/1433ه.
12. شوقي ضـــيف،تاريـــخ الأدب العربي،العصـــر الإســـلامي،دار المعارف نيل–القاهرة،ج02، ط11،دت.
13. صباح نوري المرزوك،الأدب الإسلامي،دار الصفا،عمان،ط01، 1435ه/2014م.
14. طه حسين،من تاريخ الأدب العربي،العصر الجاهلي والإسلامي،دار العلم للملايين،بيروت–لبنان،مج01، ط04، 1981م.
15. عبد الله الركيبي،الشعر الديني الإصلاحي،دار الكتاب العربي،الجزائر،ج02، 2009م.
16. محمد مصطفى الغماري،أغنيات الورد والنار،الشركة الوطنية،للنشر والتوزيع،الجزائر دط،1981م.

17. محمد مصطفى الغماري،في النقد والتحقيق،دار مدني،2003م

18. محمد مصطفى الغماري،قصائد منتفضة،أسرار من كتاب النار،منشورات اتحاد الكتاب الجزائريين،دار هومة،ط01، 2001م.

19. محمد مصطفى الغماري،مقاطع من ديوان الرفض،المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائريين،1989م.

20. محمود البستاني،مختصر تاريخ العرب في ضوء المنهج الإسلامي،طهران،1981م.

21. مصطفى الغماري،أسرار من كتاب النار،منشورات اتحاد الكتاب الجزائريين،دار هومة ط01، 2001م.

22. مصطفى بدر زيد،منتخب في تاريخ الأدب،دار المعارف للطباعة والنشر،تونس دط،1990م.

23. مصطفى محمد الغماري،قصائد مجاهدة الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،1982م.

24. نجيب الكيلاني،مدخل إلى الأدب الإسلامي،

25. يحياوي الطاهر،البعد الفكري والفني عند الشاعر محمد مصطفى الغماري،المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر،1983م.

26. يوسف وغليسي،في ظلال النصوص،تأملات نقدية في كتابات جزائرية،جسور للنشر والتوزيع،ط01، 2009م.

27. احمد الهاشمي،جواهر الأدب،طبعة جديدة منقحة،ج1،دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع،2012م .

28. عبد الرحمان خليل إبراهيـــم،دور الشعر في معركة الدعوة الإسلامية ،أيام الرسول،ط2 الشركة الوطنية للنشر و التوزيع،الجزائر،1971.

29. عز الدين إسماعيل،في قضايا الشعر العربي المعاصر،دراسات و شهادات ،أعد الكتاب للنشر ريتا عوض،إعداد:محمود أمين العالم،تونس المنظمة العربية للثقافة و العلوم إدارة الثقافة ،1988.

30. عبد الله الركيبي،قضايا عربية من الشعر الجزائري المعاصر،دار الكتاب العربي للطباعة و النشر و التوزيع،الجزائر،2009.

محمد صالح الجابري ،الأدب الجزائري المعاصر،منشورات السهل،2009، .31

32. بشير خلف ،الفنون لغة الوجدان ،دار الهدى ،الجزائر،د ط،2009 .

33. إيليا الحاوي ،"في النقد و الأدب"ج2 مقدمات جمالية عامة.مقطوعات من العصر الإسلامي و الأموي ،ط4،دار الكتاب اللبناني،بيروت1979 .

34. مصطفى صادق الرافعي ، وحي القلم. ج3 ،دار الأصالة ،الجزائر للطبع و النشر و التوزيع،2010م .

35. أبو الحسن سلام،جماليات الفنون ،دار الهدى ،الجزائر، دط 2012م.

36. كريب رمضان،فلسفة الجمال في النقد الأدبي ،مصطفى ناصف نموذجا ،ديوان المطبوعات الجامعية،بن عكنون،الجزائر،2009م.

37. الفارابي،كتاب السياسة،تحقيق نجار،المطبعة الكاثوليكية،بيروت، 1964.

38.لخضر لعرابي،الأدب الإسلامي ماهيته ومجالاته،دار الغرب للنشر والتوزيع،وهران،2003 .38